مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

تهذيب القرآن لصفات النقص الجبلية في الإنسان "دراسة موضوعية"

د.سلطان بن صغير بن نايف العنزي
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، في كلية التربية والآداب،
جامعة الحدود الشمالية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على صفات النقص الجبلية في الإنسان؛ وهل هي خاصة بالكافر؟ أم تشمل المسلم كذلك؟ وكيف هذبها القرآن الكريم في السورة نفسها؟ وذلك بالنظر إلى سياق الآيات، السابقة واللاحقة.

وقد تتبع الباحث تلك الصفات، فعرّف بها، وذكر الآيات الواردة فيها، كما بَيَّن آراء المفسرين في المراد بتلك الصفة، ولِمَ كانت صفة نقص في الإنسان، وهل مجرد اتصاف الإنسان بها يُعد ذماً؟ ثم انتقل إلى بيان كيفية تهذيب القرآن لتلك الصفات.

وهذا البحث من التفسير الموضوعي، والمنهج الذي سلكه الباحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

وخلص البحث إلى عدة نتائج أهمها أن الإنسان وصف بخمسة عشر صفة، كلها صفات نقص جبلية في كل إنسان، وجاء تهذيبها في السياق بما يناسبها.

الكلمات المفاتيح: تهذيب القرآن، الصفات الجبلية، صفات الإنسان.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد،

فإن الله ﷻ قد أنزل كتابه هدى للناس، يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم للتي هي الأقوم في كل شأن من شؤونهم، فيهديهم للتي هي أقوم في العقائد، والعبادات، والأخلاق والمعاملات؛ وقد جبل الله ﷻ ابنَ آدم على بعض الصفات التي قد تبعده عن تلك السبيل الأقوم، وتقوده إلى ما فعلِ ما لا يليق، وتخل بسلوكه، وتحرفه عن الصراط المستقيم؛ وكل ذلك من باب الابتلاء والاختبار، كما قال سبحانه: [ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢] {الملك:٢} ليتبين من يجاهد نفسه على الترقي إلى معالي الأمور، والأخذ بزمامها إلى مكارم الأخلاق، ممن يرضى بالدون، ويستسلم لطباع النفس الأمارة بالسوء، فيتبع الهوى، ويخلد إلى الأرض، ويرضى بالنقص، ولا يطمح إلى الكمال، وقد قال المتنبي:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمامِ[١]

إلا أنه سبحانه وهو الرحيم بعباده، لما جبلهم على تلك الصفات، لم يتركهم سدى، بل بيّن لهم في كتابه العزيز، طرق الخلاص من تلك الصفات، وهَذّبها بأنواع من الإرشادات، وعددٍ من التوجيهات، بأساليب متنوعة، وطرائق مختلفة، فتارة بالتصريح، وتارة بالإشارة والتلميح، وذلك أن النفوس تختلف في استقبال التوجيه والإرشاد، وتتباين في الاستجابة للأوامر والنواهي.

ولما لهذا الموضوع من أهمية بالغة رأيت أن أتتبع تلك الصفات، المذكورة في القرآن الكريم، فأجمعها في بحث واحد، وأعرف بها، وأسعى -قدر الاستطاعة- إلى بيان كيفية تهذيب القرآن لها في السورة نفسها التي ذكرت فيها تلك الصفة؛ مما أرجو من الله الكريم المنان أن يكون له درو كبير في تقويم سلوك أفراد المجتمع، وتهذيب أخلاقهم، وإنما الأمم بأخلاقها، كما قال أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت مضوا في إثْرها قُدما[٢]

والله وحده المستعان، وعليه التكلان، ومنه المدد والعون، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) ديوان المتنبي (ص٣١٢).

(٢) ديوان أحمد شوقي (١ / ٢٥٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. أن التعبد لله ﷻ بالعيش مع كتابه الكريم، والنهل من معينه الصافي، وإثراء البحوث المتعلقة به، من أجل القربات، وأعظم الطاعات.
٢. أن علاج القرآن وتهذيبه وإرشاده، أنفع علاج، وأجل تهذيب، وأكمل إرشاد، فوجب الالتزام به على مستوى الفرد والمجتمع.
٣. أن معرفة الإنسان بما جُبل عليه من صفات، تقوده –بعد توفيق الله–إلى السعي في تهذيبها، ومحاولة علاجها.
٤. أن ذلك التهذيب موصل –بإذن الله– إلى محبة الله ومرضاته، والبعد عن أسباب غضبه وعقابه.
٥. أن تهذيب الصفات الجبلية، ومعالجة ما ينتج عنها، واجب على الأفراد والأمم والمجتمعات، وبه تترقى في سلم المجد، وهو دليل على حضارتها وتقدمها.
٦. أن استسلام الإنسان لصفاته الجبلية، واتباع ما تمليه عليه، وتميل به إليه، وترك مجاهدة النفس على تهذيبها، يقوده إلى الإضرار بنفسه، بل وقد يقوده إلى الإضرار بغيره.
٧. أن المجتمع لابد أن يتنبه لصفات أفراده، فيأخذ على يد المسيء، ويشجع المحسن، كي يكثر الخير والصلاح، ويقل الشر والفساد.

مشكلة البحث:

يحاول الباحث في هذا البحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

١– ما صفات النقص الجبلية التي وصف الله ﷻ بها الإنسان في القرآن الكريم، الواردة بصيغة الاسم؟
٢– بمَ حكم القرآن الكريم على تلك الصفات؟
٣– كيف هذب القرآن الكريم تلك الصفات في سياق الآيات نفسها؟ وبم أرشد القرآنُ الإنسانَ إليه تجاهها؟

أهداف البحث:

١. جمع صفات النقص الجبلية للإنسان المذكورة في القرآن الكريم الواردة بصيغة الاسم.
٢. التعريف بتلك الصفات، وبيان حكم القرآن عليها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٣. إيضاح سبل تهذيب تلك الصفات، وكيفية معالجة القرآن لها، من خلال السياق.

الدراسات السابقة:

وقفت على عدة دراسات، لها ارتباط ببعض أجزاء هذا البحث، لكنه تخالفه من جوانب أخرى وهي كما يلي:

١. **صفات الإنسان في آيات القرآن**، للباحث: د.مُحَمَّد الطيب مساعد، بحث منشور في مجلة كلية الاقتصاد، بجامعة أم درمان الإسلامية، ويختلف عن بحثي بكونه بحثاً استنباطياً وصفياً، اقتصر الباحث فيه على سرد صفات الإنسان الواردة في الآيات، ثم أعقبها بتفسير تلك الآيات بذكر بعض أقوال المفسرين، دون ترجيح، كما أنه لم يتطرق لتهذيب القرآن وعلاجه لتلك الصفات؛ بينما كان بحثي قائماً على بيان الراجح من أقوال المفسرين في تلك الصفة، ثم بيان تهذيب القرآن الكريم لها.

٢. **الصفات الفردية للإنسان في القران الكريم، دراسة موضوعية**، للباحث د. حسين حاتم حسين العبيدي، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد؛ والفرق بين البحثين أن بحثي مخصوص بتهذيب الصفات بحسب ما يرد في سياقها، من توجيهات قرآنية، إما صريحة وإما غير صريحة، بخلاف بحث د.حسين فلم يتطرق لهذا التهذيب أبداً، إنما اكتفى بآيات عامة من سور أخرى، أو أحاديث نبوية، أو بتوجيه من كلامه حفظه الله، كما أنه يكتفي بذكر تعريف الصفة، ثم نظرة عامة حولها ويدمج العلاج في ثنايا حديثه عنها، أما بحثي فأذكر تعريف الصفة في اللغة وفي اصطلاح القرآن، ثم حكم القرآن عليها، وهل هي خاصة أم عامة، ثم أفرد التهذيب بمطلب مستقل، كل ذلك مدعماً بأقوال أئمة التفسير رحمهم الله، فالفرق بين البحثين من جهة الترتيب، ومن جهة المضمون.

٣. **صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية**، للباحث: د.إبراهيم بن مُحَمَّد العيسى، بحث منشور في مجلة كلية التربية، بجامعة أسيوط؛ ويفارق بحثي بكونه بحثاً تربوياً، يعالج صفات الإنسان من وجهة نظر التربويين، بينما بحثي بحث تفسيري، يعالج صفات الإنسان من خلال التوجيهات الربانية في القرآن الكريم، فألتزم فيه بالعلاج والتهذيب الوارد في القرآن الكريم فقط، ولا أتطرق للعلاج والتهذيب فيما سواه.

٤. **تهذيب القرآن والسنة وتوجيهها للغرائز البشرية**، للباحث: د.الصادق المنا مُحَمَّد، رسالة دكتوراه، بجامعة أم القرى، وبعد الاطلاع على فهرس الرسالة، وجدت الباحث قد ذكر صفات الإنسان على عجالة، في حدود أربع صفحات فقط، ثم انتقل إلى صلب الرسالة التي تقوم على بيان الغرائز البشرية: كغريزة الجنس، وغريزة الوالدية، وغريزة حب الاجتماع، وغيرها؛ والفرق بينها وبين بحثي ظاهر جداً، إذ هي في موضوع الغرائز، وبحثي في موضوع الصفات الجبلية.

٥. **مراعاة الطبائع الجبلية في السنة النبوية**، للباحث: عبدالله بن أحمد الزهراني، بحث منشور، في مجلة الحكمة؛ والفرق بينه وبين هذا البحث أنه استهدف مراعاة الطبائع الجبلية في السنة النبوية، كطبيعة الإنسان مع المال، وطبائع النساء الجسدية

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وغير ذلك؛ بينما هذا البحث يتحدث عن صفات النقص الجبلية للإنسان في القرآن الكريم، وتهذيبه لها.

حدود البحث:

حدود البحث: القرآن الكريم، فأجمع صفات الإنسان في القرآن الكريم دون السنة النبوية، وأقتصر على الصفات الواردة بصيغة (الاسم) دون الصفات المأخوذة من (الفعل).

وأما تهذيب الصفات: فأقتصر على التهذيب الوارد في السورة نفسها، وبالأخص في سياق الآية التي ذكرت فيها تلك الصفة، وما سبقها وما لحقها من آيات.

منهج البحث:

هذا البحث من التفسير الموضوعي وسلكت فيه المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك تبعاً للإجراءات الآتية:

١. جمع المادة العلمية، وذلك من خلال تتبع صفات النقص الجبلية للإنسان المذكورة في القرآن الكريم، المأخوذة من صيغة اسم، كظلوم وجهول، دون الصفات المأخوذة من صيغة فعل، إذ حقها أن تفرد ببحث آخر مستقل.
٢. دراسة الآيات التي ذُكرت فيها تلك الصفات وتفسيرها إجمالاً، فإذا تكرر ذكر الصفة في أكثر من موضع اكتفيت بموضع واحد أو موضعين بما يخدم البحث، ويوصل إلى المقصود، ولا أستقصي جميع الآيات التي وردت فيها تلك الصفة كيلا يطول البحث.
٣. التعريف بصفات النقص الجبلية للإنسان، في اللغة وفي اصطلاح القرآن.
٤. بيان حكم القرآن عليها، من جهة كونها صفة مذمومة أم غير مذمومة.
٥. النظر في تلك الصفة: هل هي خاصة بالكافر؟ أم عامة في كل إنسان؟ وذكر اختلاف العلماء في ذلك مع الترجيح.
٦. استنباط التهذيب القرآني لتلك الصفات، الوارد في سياق الآية نفسها، سواءً السباق أم اللحاق، وإبراز التوجيهات الربانية فيها.
٧. عزو الآيات القرآنية داخل البحث، بذكر اسم السورة ورقم الآية، ووضعها بين قوسين معقوفين هكذا: [اسم السورة: رقم الآية].
٨. تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن كان في غيرهما خرجت الحديث من مصادره الحديثية، ثم نقلت حكم أهل الحديث عليه باختصار.
٩. عزو الآثار إلى مصادرها الأصلية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

١٠. توثيق النقولات عن أهل العلم من كتبهم، فإن لم يكن للعالم المنقول عنه كتاب، فإني أوثق قوله من كتب أهل الفن.
١١. بيان معاني المفردات الغريبة من كتب الغريب أو المعاجم.
١٢. ختم البحث بخاتمة فيها أهم النتائج المتوصل إليها، ثم التوصيات التي يراها الباحث.
١٣. تذييل البحث بفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وتمهيد، وعشرة مباحث، كما يأتي:

المقدمة: ذكرت فيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مفردات عنوان البحث.

المطلب الثاني: أهمية العناية بتهذيب القرآن الكريم للصفات.

المبحث الأول: صفة الضعف: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الضعف، وبيان حكم القرآن عليها.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الضعف.

المبحث الثاني: صفتا اليأس والقنوط: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفتي اليأس والقنوط، وبيان حكم القرآن عليهما.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفتي اليأس والقنوط.

المبحث الثالث: صفتا الفرح والفخر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفتي الفرح والفخر.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفتي الفرح والفخر

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المبحث الرابع: صفة العجلة: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة العجلة، وبيان حكم القرآن عليها.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة العجلة.

المبحث الخامس: صفة التقتير: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة التقتير، وبيان حكم القرآن عليها.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة التقتير.

المبحث السادس: صفة الجدل: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الجدل، وبيان حكم القرآن عليها.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الجدل.

المبحث السابع: صفة الكفران: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الكفران، وبيان حكم القرآن عليها.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الكفران.

المبحث الثامن: صفتا الظلم والجهل: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفتي الظلم والجهل، وبيان حكم القرآن عليهما.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفتي الظلم والجهل.

المبحث التاسع: صفات الهلع والجزع والمنع: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفات الهلع والجزع والمنع، وبيان حكم القرآن عليها.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفات الهلع والجزع والمنع.

المبحث العاشر: صفة الكند: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الكند، وبيان حكم القرآن عليها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الكند.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العلمية، وفيها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأسأل الله التوفيق والسداد، والإعانة والرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

التمهيد وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مفردات عنوان البحث:

التهذيب: من هذب، وهي كلمة تدل على تنقية الشيء مما يعيبه، ويقال: شيء مهذَّب: منقىً مما يعيبه، ويقال: هذّب الشيء: نقّاه وأخلصه وقيل: أصلحه(١).

وهو المراد في هذا البحث: إذ المقصود: تنقية الإنسان من الصفات التي يُعاب بها، ويذم عليها، وإصلاح حاله، من خلال التوجيهات الإلهية في القرآن الكريم.

القرآن: كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمدٍ ﷺ، منه بدأ وإليه يعود، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سوره(٢).

الصفات الجبلية للإنسان: هي الصفات التي خلقه الله وطبعه عليها، فكانت من أصل خلقته(٣)؛ وتنقسم إلى صفات كمال وصفات نقص.

المطلب الثاني: أهمية العناية بتهذيب القرآن الكريم للصفات:

إن ثناء الله ﷻ في القرآن الكريم على أنبيائه عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، بما هم عليهم من كريم الصفات، وجميل الطباع لهو خير دليل، وأوضح برهان، على ضرورة العناية العظيمة بتهذيب الصفات والسمو بها إلى المعالي، والارتقاء بها قدر الاستطاعة.

فبعد أن قص الله ﷻ في كتابه خبر أنبيائه عليهم السلام، قال لنبينا محمد ﷺ: [أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ] {الأنعام:٩٠}، فإذا جاء التوجيه الرباني لخير البشر وأكملهم ﷺ بأن يقتدي بالكُمَّل من عباد الله–وهم الأنبياء–، فغيره من باب أولى أن يُعنَى أشد العناية ويحرص كل الحرص على الاهتداءِ والاقتداءِ وتعديلِ السلوك وتهذيب صفات النقص فيه، علّه أن يُنظمَ في سِلك أولئك الكُمَّل الأخيار، ويحشر مع الثلة الأبرار؛ قال ابن كثير -رحمه الله-: «وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ، فأمته

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥/٦)، لسان العرب لابن منظور (٢٨٠/٢): مادة هذب.
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٤/١٢)، أصول التفسير لابن عثيمين (ص٨)، التعريفات الاعتقادية لسعد آل عبداللطيف (٢٥٩).
(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٠٣/١٣) مادة: جبل.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به»[(١)].

وقد أعلمنا الله ﷻ في كتابه أنه أَلْهَمَ النفس فجورها وتقواها، بل أخبرنا أنه أقسم على فلاح من زكى نفسه وهذبها، فقال عز من قائل: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾] {الشمس:٧-٨} قال ابن جرير -رحمه الله-: «فبَيَّنَ لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شرّ، أو طاعة أو معصية»[(٢)].

وركز فيها ما تميّز به بين نجد الخير ونجد الشر، وهداها لمعرفة سبيلهما، فقال سبحانه: [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾] {البلد:١٠}، فصار لزاماً على الإنسان أن يتخلص من صفات النقص، ويسعى في البلوغ إلى صفات الكمال، والله ﷻ لم يجعل ذلك عليه محالاً، بل يسره له، قال السعدي -رحمه الله-: «ما من صنعة حميدة ظاهرة أو باطنة، إلا وقد يسّر الله للعبد حصولها، ونهج الطرق الموصلة إليها، وأعان عليها بكل وسيلة، وكلما كملت الصفات كثرت الطرق المفضية إليها»[(٣)]، وهذا من فضل الله على خلقه.

فما بقي على الإنسان إلا أن يتدبر هذا القرآن العظيم ويتأمل في توجيهاته، ويُقبل عليه برغبة وصدق، والله سبحانه أكرم من عبده، إذا رأى من عبده الصدق أعطاه فوق ما يستحق، وأوصله إلى أسمى الغايات بأسهل السبل.

وكتاب الله تعالى مشتمل على أشرف العلوم وأجل المباحث، فكما هذَّب العقائد وأعمال القلوب الخفية، فكذلك هذَّب الأقوال والأفعال والصفات الظاهرة، فجاء بتهذيب باطن الإنسان وظاهره؛ قال الفخر الرازي -رحمه الله-: «العلوم الدينية: إما نظرية وإما عملية.

أما النظرية: فهي معرفة الإله تعالى ومعرفة الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وهذا الكتاب مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها؛ وأما العملية فهي إما أن تكون عبارة عن تهذيب الأعمال الظاهرة وهو الفقه، أو عن تهذيب الأحوال الباطنة وهي علمي التصفية ورياضة النفس»[(٤)].

فوجب أن نُعنى بدراسة تهذيب القرآن الكريم لصفاتنا، ونأخذ منه الفوائد والعبر، ونجاهد أنفسنا على ذلك، والله ﷻ يقول: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾] {العنكبوت:٦٩}.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٧٤).
(٢) جامع البيان (٢٤/٤٤٠).
(٣) حسن الخلق (ص٨).
(٤) التفسير الكبير (١٧/ ٣١٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المبحث الأول: صفة الضعف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الضعف، وبيان حكم القرآن عليها:

الضعف لغة: ضد القوة، يقال: ضَعُف يضعُف ضَعفاً، وضُعفاً، بمعنى واحد وهما معاً جائزان في كل وجه، وقيل: الضُّعف في الجسد، والضَّعف في الرأي والعقل، ورجل ضعيف، وقوم ضعفاء وضعاف، وضَعَفة[(١)].

معنى الضعف في القرآن: يطلق الضعف على الضعف الحسي والمعنوي، وقد جاء وصف الإنسان بالضعف في قوله تعالى: [يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾] {النساء:٢٨} ففُسر ضعف الإنسان بأمور[(٢)]:

الأول: أنه لا يصبر عن النساء؛ والثاني: أنه خُلق من ماء مهين؛ والثالث: ضعف عزمه عن قهر الهوى؛ والرابع: ضعف العلم بما يصلحه؛ والراجح أن ضعفه يعم ذلك كله[(٣)]، كما قال الثعلبي -رحمه الله- : «[ضَعِيفًا]: في كل شيء»[(٤)]، وقال القيم -رحمه الله-: «والصواب أن ضعفه يعم هذا كله، وضعفه أعظم من هذا وأكثر، فإنه ضعيف البنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة، ضعيف العلم، ضعيف الصبر؛ والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في الحدور؛ فبالاضطرار لا بد له من حافظ معين يقويه ويعينه وينصره ويساعده، فإن تخلى عنه هذا المساعد المعين فالهلاك أقرب إليه من نفسه»[(٥)].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية، لذلك يكرهها الإنسان، ويراها شراً بالنسبة إليه، أما بالنسبة للخالق ﷻ فكما قال ابن القيم -رحمه الله-–بعد كلامه السابق–: «وخَلْقُه على هذه الصفة هو من الأُمور التي يحمد عليها الرب ﷻ، ويثنى عليه بها، وهو موجب حكمته وعزته، فكل ما يحدث من هذه الخلقة، ويلزم عنها فهو بالنسبة إلى الخالق ﷻ خير وعدل وحكمة؛ إذ مصدر هذه الخلقة عن صفات كماله، من غناه وعلمه وعزته وحكمته ورحمته؛ وبالنسبة إلى العبد تنقسم إلى خير

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٣٦٢/٣)، لسان العرب (١٠٦/١١)، تاج العروس (٢٩٥/٦) مادة: ضعف.

(٢) ينظر: جامع البيان (٦٢٤/٦)، البسيط (٤٦٦/٦)، تفسير القرآن العظيم (٦٩/٣).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (ص٤٢٦)، تفسير القرآن العظيم (٦٩/٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٧٦)، تفسير سورة النساء لابن عثيمين (٢٤٧/١).

(٤) الكشف والبيان (٢٣٦/١٠).

(٥) طريق الهجرتين (٢٢٩/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وشر، وحسن وقبيح»[(١)]، وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «من فوائد الآية: أن الإنسان ينبغي له إذا شمخت نفسه وعلا أنفه، أن يذكر حقيقة نفسه، وهي الضعف، حتى لا يطغى أو يزيد»[(٢)] ثم بيّن -رحمه الله- أن هذه الصفة يكرهها العبد، بدليل أن الله ﷻ عبّر عن خلقها بالبناء للمفعول، فقال: [وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ] {النساء:٢٨}، ولم يقل: خلق الله.

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ هذه الصفة الجبلية عامة في كل إنسان، وهذا مما لا يرتاب فيه أحد، فأصل خلق الإنسان من الضعف، مما استقر في الفطر؛ ويوضحه قوله سبحانه: [۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤] {الروم:٥٤}.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الضعف:

هذب القرآن الكريم صفة الضعف في الإنسان، بالإرشاد إلى طلب القوة والمدد والعون منه سبحانه، على دفع هذا الضعف؛ وذلك بامتثال أحكام الشريعة الواردة في سياق الآيات قبلها، ثم بالذم لمن يستسلم لضعفه فينقاد خلف شهواته، وتنحط مرتبته ومكانته؛ ومن حكمة الله ﷻ أن يري العبد ضعفه، وأن قوته محفوفة بضعفين، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة[(٣)].

وليس له عذر في مخالفة هذه الأحكام العظيمة إذ كلها يسر وتخفيف، كما قال سبحانه: [يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ] ثم ذيّل ووجه هذا التخفيف[(٤)] بقوله: [وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨] {النساء:٢٨}، فكأنه سبحانه يقول: أيها الإنسان، إنك مخلوق ضعيف، وقد خففت عنك في الأحكام، وشرعت لك منها ما يلائم ضعفك، فامتثل هذه الأحكام، واحذر أن يميل بك ضعفك إلى الحرام.

ولنتأمل قوله تعالى:[وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡۚ]{النساء:٢٤}، وقوله:[ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ] {النساء:٢٥} ثم قوله بعدها: [يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ] {النساء:٢٨}، فمن أراد التخفيف عن عباده، وأراد رحمتهم، وعلم ضعفهم، لابد أن يهيأ لهم من الأسباب الحسية والمعنوية ما يعينهم على مقاومة هذا الضعف.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) تفسير سورة النساء (٢٤٩/١).
(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٧٥٨).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

فأما الضعف الخَلقي الجسدي فقد تولاه سبحانه فأنعم على عبده وأعقبه بقوة، كما قال سبحانه: [ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ] {الروم:٥٤}، إلا أن العبد مأمور بأن يحافظ على قوة جسده، بما يكون له عوناً على طاعة ربه ﷻ .

وأما الضعف الخُلقي وضعف العزم عن قهر الهوى، واستمالة الشهوات، وقلة الصبر عن النساء، فيهذبها الإنسان بامتثال تلك الأحكام الشرعية، وبابتغاء الحلال، كما قال سبحانه: [وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ] {النساء:٢٤}، والاستغناء به عن الحرام، والأخذ بيسر الشريعة؛ فمن امتثل تلك الأوامر والتزم بتلك التشريعات، سَلِم بإذن الله من تبعات ذلك الضعف، وقوي على طاعةِ الله، والبعدِ عما حرّم الله، فإن خالف وانقاد لشهواته واستسلم لضعفه، انحط إلى مرتبة الذين يتبعون الشهوات، فصاروا أتباعاً لها، تقودهم حيث شاءت، وتميل بهم حيث مالت، كما قال سبحانه: [وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧] {النساء:٢٧} وكفى بذلك ذلاً ومهانة أن يكون الإنسان تابعاً للشهوات[(١)]. والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: صفتا اليأس والقنوط:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفتي اليأس والقنوط، وبيان حكم القرآن عليها:

اليأس لغة: قطع الرجاء والأمل، بمعنى: القُنوط، ويقال: إنه لياس ويَئِس ويؤوس: أي: قَنِط وقنوط[(٢)].

القنوط لغة: اليأس من الشيء، يقال: قنَط يقنِط، وقنِط يقنَط فهو قَنِط وقانط وقنوط[(٣)].

وكما ترى قُد فُسر كلٌّ من اليأس والقنوط بالآخر، والصواب أن بينهما فرقاً.

فالفرق بين اليأس والقنوط أن القنوط أشد اليأس، وأكثر مبالغة منه[(٤)]، كما أن القنوط: اليأس من الخير[(٥)]؛ وقيل:

---

(١) ينظر: تفسير سورة النساء لابن عثيمين (٢٤٨/١).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (١٥٣/٦)، لسان العرب (١٤٦/٨)، تاج العروس (٨٩٩/١٠) مادة: يأس.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣٢/٥)، لسان العرب (٢٦١/٩)، تاج العروس (٧١٩/٨) مادة: قنط.

(٤) ينظر: الفروق لأبي هلال العسكري (ص٤٣٣).

(٥) ينظر: مفردات القرآن للراغب (ص٦٨٥) مادة: قنط.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

اليأس: فعل قلبي وهو: اعتقاد عدم حصول الميؤوس منه، والقنوط: انفعال بدني من أثر اليأس، وهو انكسار وتضاؤل[١].

اليأس والقنوط في القرآن: عرف المفسرون اليأس والقنوط بما ذكره أهل اللغة، قبل قليل[٢]، وجاء وصف الإنسان اليأس في قوله تعالى: [وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾] [هود:٩]، وجاء وصفه **باليأس والقنوط معاً** في قوله تعالى: [لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾] {فصلت:٤٩} قال السعدي -رحمه الله-: «هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال»[٣]، وهي حال المؤمنين الصابرين كما قال تعالى: [إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾] [هود: ١١]، فالإنسان لا يمل أبداً من دعاء الله، وسؤاله مطالبَ الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقنع بقليل ولا كثير منها؛ وإن أصابه مكروه يئس من رحمة الله تعالى، ووقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير، إلا الذين صبروا عملوا الصالحات.

وحكم القرآن عليها: بأنهما صفتا نقصٍ جبليتان مذمومتان، قال الواحدي -رحمه الله-: «[وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾] {هود:٩} قال أهل المعاني: الآية صفة ذم؛ لأنه للجهل بسعة رحمة الله التي توجب قوة الأمل، يستشعر اليأس؛ وبيان عما يوجبه الخلق السوء من القنوط من الرحمة عند نزول الشدة»[٤].

ووصف القرآن للإنسان بهذا يدل على أن للجبلة الإنسانية أثراً قوياً في الخُلُق، إلا من عصمه الله بوازع الإيمان، كما يقوله الطاهر بن عاشور -رحمه الله-[٥]، فأصل هذا الخُلُق أمر مرتكز في نفس الإنسان، ومن طبيعته أن يطلب الأمر الملائم والنافع له، وينسى ما عسى أن يحل به من المؤلم والضار، فبذلك يأنس بالخير إذا حصل له فيزداد من السعي لتحصيله، ولا يتدبر في معطيه حتى يشكره ويسأله المزيد من فضله.

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ اختلف في ذلك، فقيل: إنها خاصة بالكافر، وقيل: بل هي عامة في

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٠).
(٢) ينظر: جامع البيان (٣٣٩/١٢)، البسيط (١١/ ٣٥٩)، معالم التنزيل (١٩٣/٤)، الكشاف (٢٨٤/٢).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٨٩٠).
(٤) البسيط (١١/ ٣٥٩).
(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

كل إنسان، وهو الراجح؛ لأن الإنسان اسم جنس بمعنى الناس[(١)]، ومما يشهد له قوله تعالى: [وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾] {الروم:٣٦}، قال ابن عطية -رحمه الله- في قوله تعالى: :«[وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾] {هود:٩} «وقال بعض الناس في هذه الآية: الإنسان إنما يراد به الكافر، وحمله على ذلك لفظة كَفُورٌ، وهذا عندي مردود؛ لأن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس، كما تقتضي لفظة الإنسان»[(٢)].

وأما ورود السياق في الكفار في آية فصلت، فهذا لا ينفي كون هذه الصفة جبلية في كل إنسان؛ لأن أولها يتضمن أخلاقاً ربما شارك فيها بعض المؤمنين، وقد ذكر الله تعالى الأخلاق الذميمة في الإنسان جملة، وهي في الكفار بيّنة متمكنة[(٣)]، لكن قد يتصف بها بعض المؤمنين، فيقع في قلوبهم شيء من اليأس والقنوط، ولذا نهى الله ﷻ خواص خلقه عن القنوط وهم الأنبياء فكيف بمن دونهم؟! قال سبحانه لخليله إبراهيم عليه السلام: [قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾] {الحجر:٥٥}، فهذا يدل على أن اليأس والقنوط قد يتسلل إلى نفوس المؤمنين، والموفق من نجاه الله وربط على قلبه، ورزقه الصبر على أقداره.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفتي اليأس والقنوط:

هذب القرآن هاتين الصفتين المذمومتين بالحث على الصبر والإكثار من الصالحات، بدليل الاستثناء الواقع بعدها، إذ قال سبحانه: [إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾] [هود:٩-١١]، قال ابن القيم -رحمه الله-: « هؤلاء ثنية الله[(٤)] من نوع الإنسان المذموم الموصوف باليأس والكفر عند المصيبة، والفرح والفخر عند النعمة، ولا خلاص من هذا الذم إلا بالصبر والعمل الصالح، كما لا تنال المغفرة والأجر الكبير إلا بهما»[(٥)]، فالإنسان يؤوس قنوط إن مسه الشر، الشر، وذلك من خُلق قلة صبر الإنسان على ما يتعبه ويشق عليه، فيضجر إن لحقه شر، ولا يوازي بين ما كان فيه من خير فيقول: لئن مسني الشر زمناً لقد حل بي الخير أزماناً، ثم هو أيضاً لا ينتظر إلى حين انفراج الشر عنه، وينسى الإقبال على سؤال الله أن يكشف عنه الضر، بل ييأس ويقنط غضباً وكبراً، ولا ينتظر معاودة الخير، ظاهراً عليه أثر اليأس بانكسار

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤/٣)، البسيط (١١/ ٣٥٩)، الكشاف (٢٨٤/٢)، المحرر الوجيز (ص٩٣٣).
(٢) المحرر الوجيز (ص٩٣٣).
(٣) ينظر: المحرر الوجيز (ص١٦٥٩).
(٤) أي: من استثناهم الله.
(٥) عدة الصابرين (ص١٣٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وحزن[١]، ولو عوّد نفسه الصبر، وأكثر من عمل الصالحات لرأى لذلك أثراً عظيماً في السلامة من هذه الصفة الذميمة؛ ومما يسلّيه ويملأ قلبه طمأنينة ويقيناً الوعدُ الذي ختمت به الآية الكريمة تحريضاً على الصبر وحضاً عليه، وهو الوعد بالمغفرة للذنوب، والتفضل بالأجر النعيم[٢].

المبحث الثالث: صفتا الفرح والفخر:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفتي الفرح والفخر، وبيان حكم القرآن عليها:

الفرح لغةً: من فَرِح يفرح فرحاً، فهو رجل فَرِح، ويدل على خلاف الحزن، كما يدل على البَطَر والأشر، وقيل: الفرح أن يجد في قلبه خِفَّة.[٣]

الفخر لغةً: أصل صحيح يدل على عِظَم وقِدَم، وقيل: الفخر: هو عدُّ القديم والمباهاة بالمكارم من حسب أو نسب، وفَخرَ الرجل على صاحبه: تعاظم وتكبّر وفضّل نفسه عليه، وتمدّح بخصاله، وقيل: الفخر: ادعاء العِظَم والكِبَر والشرف[٤].

الفرح والفخر في القرآن: عُرّف **الفرح**: بأنه انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة، وذلك في اللذات البدنية والدنيوية ونيل المشتهى[٥]، وعُرّف **الفخر** -كما تقدم-: بأنه التعاظم والتكبر والمباهاة والتمدح بالخصال، وقد وُصف الإنسان بهاتين الصفتين في قوله تعالى: [وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾] {هود:١٠} فيخبر الله تعالى عن طبيعة الإنسان أنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، ويقول: [ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي]، [إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾] أي: فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي عيب أشد من هذا؟!![٦].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٠).
(٢) ينظر: المحرر الوجيز (ص٩٣٤).
(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣٩٩/٤)، لسان العرب (٣٧٤/٣)، تاج العروس (٦٨/٨) مادة فرح.
(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٤٨٠/٤)، لسان العرب (٣٥٤/٦)، تاج العروس (٥٠/٨) مادة: فخر.
(٥) ينظر: البسيط (٢٣٢/١١)، مفردات القرآن للراغب (ص٦٢٨)، تاج العروس (٦٨/٨) مادة فرح.
(٦) ينظر: تفسير الكريم الرحمن (ص٤٢٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وحكم القرآن عليهما: بأنهما صفتا نقصٍ جبليتان مذمومتان، هذا الأصل فيهما، ويستثنى من ذلك الفرح بفضل الله، قال الواحدي -رحمه الله-: «قيل: إنَّ عامةّ ما جاء مقترنًا بالذم من هذه اللفظة، إذا جاءت مطلقة؛ فإذا قُيد لم يكن ذمًا، كقوله: [فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ] {آل عمران:١٧٠} وقد قُيد في هذه الآية بقوله تعالى: (بذلك)»[(١)]، يعني قوله تعالى: [قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴿٥٨﴾] {يونس:٥٨}.

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ أُختُلف في ذلك، فقيل: إنها خاصة بالكافر، وقيل: بل هي عامة في كل إنسان، وهو الراجح، بدليل الاستثناء الوارد بعدها، والاستثناء معيار العموم، قال الرازي -رحمه الله-: «قيل: المراد منه مطلق الإنسان، ويدل عليه وجوه»[(٢)] وذكر ثلاثة وجوه:

الأول: الاستثناء بعدها في قوله: [إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ] {هود:١١} والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل فيه.

الثاني: موافقتها لسورة العصر، وآية المعارج: [۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾] {المعارج:١٩}.

الثالث: أن مزاج الإنسان مجبول على الضعف والعجز.

وقال البقاعي -رحمه الله-: «[إِنَّهُۥ] {هود:١٠} الضمير فيه للإنسان، المعنى أن الإنسان؛ فهي كلية مشهورة بمستغرق، أي: أن كل إنسان [لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾] أي خارج عن الحد في فرحه، شديد الإفراط في فخره على غيره، بكل نعمة تفضل الله عليه بها»[(٣)]؛ وقال السعدي -رحمه الله-: «وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده[(٤)].

---

(١) البسيط (٢٣٢/١١).

(٢) التفسير الكبير (١٧/ ٣٢١).

(٣) نظم الدرر (٥٠٨/٣).

(٤) ينظر: تفسير الكريم الرحمن (ص٤٢٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفتي الفرح والفخر:

هذب القرآن هاتين الصفتين المذمومتين بما هذب به الصفتين السابقتين: اليأس والقنوط، إذ هي صفاتٌ متضادة، كائنتان على طرفي نقيض، فهذبها القرآن بالحث على الصبر والإكثار من الصالحات، فقال سبحانه: [إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾] [هود:٩-١١]، وتقدم -قبل قليل-قول ابن القيم -رحمه الله- في هذا الشأن.

ولما كان الفرح والفخر فيه لذة وشهوة قد تكون خفية وقد تكون جلية، ناسب أن يرشده الله ﷻ إلى الصبر وعمل الصالحات؛ لأن هذه الصفات الرذيلة ستظهر على جوارح الإنسان، وفلتات لسانه، وتعابير وجهه، إن لم يحمل نفسه على الصبر على مرّ الحق المؤدي به إلى الفوز بالآخرة مع ما فيه من جمال الدنيا، فكما أن الإنسان مأمور بالصبر وقت الشدائد وزوال النعم، هو كذلك مأمور بالصبر وعمل الصالحات عند حلول النعم، شكراً لله ﷻ عليها الذي أتم عليه نعمه(١).

المبحث الرابع: صفة العجلة:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة العجلة، وبيان حكم القرآن عليها:

العَجَلة لغة: السرعة، من عجل، إذا أسرع، وسمت العربُ شهر شعبان: العجلان، لسرعة انقضائه، وتقول: قوس عجلى: سريعة السهم، ومنه تسمية الدنيا بالعاجلة(٢).

العجلة في القرآن: معنى العجلة في القرآن كما قال الواحدي -رحمه الله-: «والعجلة مذمومة، وهي: التقدم فيما لا ينبغي أن تتقدم فيه»(٣)، وقال الراغب -رحمه الله-: «طلب الشيء وتحريه قبل أوانه»(٤)، وجاء وصف الإنسان بالعجلة في قوله تعالى: [وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾] {الإسراء:١١} وفي قوله: [خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾] {الأنبياء:٣٧} وقد خاطب الله ﷻ العرب بما تعقل، فبيّن لهم أن الإنسان خُلق من عجل، وعلى عجل،

(١) ينظر: نظم الدرر (٥٠٨/٣).
(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٣٦٩/١)، مقاييس اللغة (٢٣٧/٤)، لسان العرب (٤٥١/١٣) مادة عجل.
(٣) البسيط (٥٢٠/٥).
(٤) مفردات القرآن (٥٤٨) مادة: عجل.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

فبِنْيته وخِلقتَه من العجلة، وعلى العجلة، وذلك لكثرة فعله العجل، واعتياده له، والعرب تقول للذي يكثر الشيء: خُلقتَ منه، كما تقول: أنت من لعب وخُلقتَ من لعب، تريد المبالغة بوصفه باللعب[(١)]، فجُعل الإنسان لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه، تنزيلاً لما طُبع عليه من الأخلاق منزلة ما طُبع عليه من الأركان، لشدة لزومه للعجل، وعدم انفكاكه عنه[(٢)].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة، قال الراغب -رحمه الله-: «وهي من مقتضى الشهوة، فلذلك كانت مذمومة في عامة القرآن، حتى قيل: العجلة من الشيطان»[(٣)]، ويستثنى من ذلك: العجلة إلى مرضاة الله ﷻ، كما قال عن موسى عليه السلام: [وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾] {طه:٨٤}.

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ أُختُلف في المراد بالإنسان في قوله تعالى: [وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾] {الإسراء:١١} فقيل: هو النضر بن الحارث حين استفتح بالعذاب فقال: [فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾] {الأنفال:٣٢}[(٤)].

وحملها عامة المفسرين على العموم[(٥)]، كما قال الواحدي -رحمه الله-: «هذا قول مجاهد وقتادة وعامة المفسرين، والإنسان في هذه الآية: اسم الجنس»[(٦)]، وهو الصحيح؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فالعجلة صفة نقص جبلية في كل بني آدم، قال الزجاج -رحمه الله-: «أعلم الله ﷻ أن الإنسان خُلق عجولاً، فهذا خُلِق عليه جملة البشر، من آدم عليه السلام إلى آخر ولده، والإنسان ههنا في معنى الناس»[(٧)]، وقال أبو منصور الماتريدي -رحمه الله-: «كل إنسان خُلق في الطبع من الأصل عجولاً؛ ألا ترى أنه لا يصبر على أمر واحد، ولا على شيء واحد، فإن كان في نعمة لم يصبر عليها، ولكن يمل منها، وكذلك في أدنى شدة وبلاء إذا بُلي به لم يصبر عليه، فأبداً يريد الانتقال من حال إلى

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٠٣/٢)، جامع البيان (٢٧٠/١٦)، معاني القرآن للزجاج (٣١٨/٣).
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦٧/٦).
(٣) ينظر: مفردات القرآن (٥٤٨) مادة عجل.
(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٤/٢)، الهداية لمكي (٤١٥٣/٦).
(٥) ينظر: جامع البيان (٢٧٠/١٦)، البسيط (٢٧٠/١٣)، المحرر الوجيز (ص١١٣١)، تفسير القرآن العظيم (٤٦/٥).
(٦) البسيط (٢٧٠/١٣).
(٧) معاني القرآن (١٨٨/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

حال»[١]، وهو موافق لقول ابن عباس : «عجولاً: ضجراً، لا صبر له على سراء ولا ضراء»[٢].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة العجلة:

جاء تهذيب القرآن لهذه الصفة بالنهي الصريح عنها في آية الأنبياء، حيث قال سبحانه: [خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾] {الأنبياء:٣٧} فقوله: [خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ] {الأنبياء:٣٧} كقوله: [وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾] {الإسراء:١١} أي: عجولاً في الأمور، يبادر الأشياء ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون يستعجلون عقوبة الله للكافرين؛ والكافرون يتولون ويستعجلون العذاب تكذيباً وعناداً، فنهاهم الله عن الاستعجال ووعدهم أنه سيريهم آياته لاسيما في انتقامه من المكذبين، واقتداره على الجميع، وقد ضرب لهم أجلاً، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون[٣]، فأراد سبحانه زجرهم عن العجلة، فَقَدّم ذم الإنسان عليها، ثم بيّن أنهم لا يبعد منهم أن يستعجلوا؛ لأنهم مجبولون على ذلك، وهو من طبعهم وسجيتهم، فإذا كان الأمر كذلك، فإن ترك العجلة حينئذٍ حالة شريفة عالية مرغوب فيها[٤]، ففي الآية النهي عما جُبلت عليه نفوسهم[٥].

وذمُّ الإنسان على العجلة -ذماً يقتضي نهيَه عنها- ظاهرٌ أيضاً من آية الإسراء: [وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾] {الإسراء:١١}، والنهي في القرآن قد يأتي صريحاً، وقد يأتي غير صريح بصيغ عدة، فكل فعلٍ طَلَبَ الشارعُ تركَه أو ذمَّ فاعله أو عِيب عليه، أو جُعل سبباً للوم والذم: دل ذلك على المنع منه، والنهي عنه[٦]، فالإنسان من شأنه أن يبالغ في العجلة، ويسارع في طلب ما يخطر بباله، متعامياً عن ضرره، وذلك بحسب جبلته، فهو عجولٌ ضجرٌ لا يتأنى حتى يزول عنه ما يعتريه[٧]، ففي الآية إزراء بحالته هذه وتقبيح لها.

ثم إذا تأملنا سياق الآيات قبلها: وجدنا أن القرآن يدعو إلى الخير الذي لا خير بعده، كما قال سبحانه: [إِنَّ هَٰذَا

(١) تأويلات أهل السنة (١٣/٧).
(٢) رواه عنه ابن جرير في جامع البيان (١/ ٤٨٤)
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣٣٣/٥)، تيسير الكريم الرحمن (ص٦٠٦).
(٤) ينظر: التفسير الكبير (١٤٤/٢٢).
(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦٧/٦).
(٦) ينظر: بدائع الفوائد (٥/٤).
(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٥٩/٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ] {الإسراء:٩} بينما الإنسان يدعو بالشر، والشر درجات متفاوتة، كما قال سبحانه بعدها: [وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ] {الإسراء:١١}، ثم أعقبه بصفة جبلية فيه، وهي العجلة، فقال: [وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾] {الإسراء:١١}، فتذييل الآية بها يشعر بكونها سببَ دعائِه بالشر، مما يحتم عليه السعي في الانفكاك عن هذه الصفة، والتخلص منها قدر استطاعته.

المبحث الخامس: صفة التقتير:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة التقتير، وبيان حكم القرآن عليها:

التقتير لغة: من قتر، وهو أصل صحيح يدل على التجميع والتضييق؛ وقتّر بينهما: قارب؛ والإقتار: التضييق، والقَتْر: الرُمقة في النفقة، وفلان لا ينفق على عياله إلا رُمقة، أي: ما يمسك الرمق؛ ويقال: قَتَر الرجل على أهله، وأقتر، وقتَّر: ضَيَّق عليهم في النفقة، وأقتر الرجل: أقل وافتقر، والمقتر: المقل عقيب المكثر؛ وكأن المقتر والمقتّر: الذي يتناول من الشيء قُتاره وهو من القترة أي: الغبرة التي يعلوها سواد؛ أو هو: آخر رائحة العود إذا بُخّر به؛ فالقتْر والتقتير والإقتار: ثلاث لغات، لذا يقال: قتر: يقتُر، ويقتِر(١).

والقُترة: تطلق على صنبور القناة، والخرق الذي يدخل منه الماء البستان، وحلقة الدرع؛ والكوة النافذة، والفتحة التي يستقر فيها لسان غلق الباب، وعين التنور؛ فمدار المعنى على نفاذ الشيء بقلة أو ضعف لضيق منفذه(٢).

صفة التقتير في القرآن: التقتير عند جمع من المفسرين هو شدة البخل والإمساك، قال البقاعي -رحمه الله- : «قتوراً: بخيلاً ممسكاً غاية الإمساك»(٣).

وقد وُصف الإنسان بالتقتير في قوله تعالى: [قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾] {الإسراء:١٠٠} ففيه أمر للرسول ﷺ بأن يقول للمشركين: لو كنتم تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال وغيرها:

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٥٥/٥)، تهذيب اللغة (٥٠/٩)، لسان العرب (٣٧٩/٦)، تاج العروس (٣٢٩/٨) مادة: قتر.
(٢) انظر: المعجم الوسيط (٤١٧/٢)، المعجم الاشتقاقي لـ أ.د.محمد جبل (١٧٧٥/٤).
(٣) نظم الدرر (٤٣٠/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

لبخلتم به، فلم تجودوا بها على غيركم خشيةً من الإنفاق والإقتار[١].

وجاء عن ابن عباس وقتادة -رحمه الله- بأن القتور: البخيل الممسك[٢]، وقال ابن قتيبة -رحمه الله-: «قتوراً أي: ضيقاً بخيلا»[٣]؛ وقتور صيغة مبالغة، فيقال: قتور على التكثير، كما يقال ظلوم للكثير الظلم[٤].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة، قال الراغب -رحمه الله-: «القتر: تقليل النفقة، وهو بإزاء الإسراف، وكلاهما مذمومان، قال تعالى: [وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾] {الفرقان:٦٧}...وقوله: [وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾]: تنبيه على ما جُبل عليه الإنسان من البخل، كقوله: [وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ {النساء:١٢٨}»[٥]، وقال البقاعي -رحمه الله-: «[وَكَانَ] أي: جبلةً وطبعاً [ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾] أي: بخيلاً ممسكاً غاية الإمساك... لما فيه من صفة النقص اللازمة»[٦].

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ أُختُلف في ذلك: فقيل: هي خاصة بالكافر، ونسبه يحيى بن سلام للحسن البصري -رحمه الله- [٧].

وقيل: هي عامة، قال الماوردي -رحمه الله-: «وهو قول الجمهور»[٨]، وهو الراجح، قال ابن عاشور -رحمه الله-: «وجملة [وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾] حالية أو اعتراضية في آخر الكلام، وهي تفيد تذييلاً، لأنها عامة الحكم»[٩].

والقاعدة الترجيحية تنص على: أنه يجب أن تحمل نصوص الوحي العامة على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص، ولفظ

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٩٨)
(٢) رواه عنهما ابن جرير في جامع البيان (١٥/ ٩٨).
(٣) غريب القرآن (ص ٢٦١).
(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٨٥).
(٥) مفردات القرآن (ص٦٥٥) مادة: قتر.
(٦) نظم الدرر (٤/٤٣٠).
(٧) تفسير يحيى بن سلام (١/١٦٥).
(٨) النكت والعيون (٣/٢٧٦).
(٩) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٢٤)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

(الإنسان) اسم جنس محلى بـ(أل) وهو من ألفاظ العموم[١]، لذا قال الرازي -رحمه الله-: «الأصل في الإنسان البخل؛ لأنه خُلق خُلق محتاجاً والمحتاج لابد أن يحب ما به يدفع الحاجة، وأن يمسكه لنفسه، إلا أنه قد يجود به لأسباب من خارج، فثبت أن الأصل في الإنسان البخل»[٢]، وقال ابن كثير -رحمه الله- : «والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وهداه، وهداه، فإن البخل والجزع والهلع صفة له»[٣]، وقال السعدي -رحمه الله-: «الإنسان مطبوع على الشح والبخل»[٤].

ولا يُعترض على هذا بوجود الجواد الكريم في الناس؛ لأن الكلام عن الأصل والغالب، والنادر لا حكم له، والموفق من غلب عقلُه هواه، فتخلص من هذه الصفة[٥]؛ والإنسان قد يجود لأسباب تحمله عليه، كالرغبة في الأجر إن كان مسلماً موفقاً، أو حب الثناء والمدح من الناس إن كان كافراً أو غافلاً، كحال حاتم الطائي، وابن جدعان وغيرهم، وقد قال ﷺ –في الذي ينفق رئاءً وسمعة–: «ولكنك فعلتَ ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[٦]، ولما قال عدي بن حاتم ﷺ: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم، ويفعل كذا وكذا، قال: «إن أباك أراد أمراً فأدركه» يعني الذكر[٧]، وقالت عائشة ▲ «يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكن، فهل ذاك نافعه؟ قال: قال: "لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[٨].

وإذا تأملنا كلام أهل اللغة السابق وجدنا أن وصف الإنسان الممسك البخيل في القرآن بالقتور مناسب أعظم مناسبة لحاله، فتقدم أن من معاني المقتر والمقتّر: الذي يتناول من الشيء قُتاره وهو من القتَرة أي: الغبرة التي يعلوها سواد؛ أو هو: آخر رائحة العود إذا بُخّر به؛ وهذا وصف مناسب جداً للبخيل الذي لا يعطي إلا الرديء والأرذل من المال أو آخره وفتاته؛ بخلاف الكريم الذي يعطي كرائم الأموال وأماثلها وأطايبها، قال ابن عطية -رحمه الله-: «[وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾] معناه:

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح د.حسين الحربي (٥٢٧/٢).
(٢) التفسير الكبير (٢١/ ٤١٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم (١٢٤/٥).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٣٧).
(٥) ينظر: البسيط للواحدي (٤٩٢/١٣)، التفسير الكبير للرازي (٤١٣/٢١)، نظم الدرر (٤٣٠/٤).
(٦) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥) (٤٧/٦) كتاب الإمارة، باب من قاتل رياء وسمعة استحق النار.
(٧) أخرجه أحمد برقم (١٨٢٦٢) (٣٠/ ٢٠٠) وصححه ابن حبان برقم (٣٣٢)، وحسنه الألباني في "التعليقات الحسان على ابن حبان" (٣٦٦/١)، ومحققو المسند؛ وقوله: «يعني: الذكر» من قول سماك بن حرب.
(٨) أخرجه مسلم برقم (٢١٤) (١٣٦/١) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

ممسكا، يريد أن في طبعه ومنتهى نظره أن الأشياء تتناهى وتفنى، فهو لو ملك خزائن رحمة الله لأمسك خشية الفقر»[(١)].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة التقتير:

هذب القرآن الكريم هذه الصفة في الإنسان في مواضع عدة بأمور مختلفة، ولكون هذا البحث مقصوراً على التهذيب الوارد في الآية نفسها أو في سياقها من الآيات -سباقاً ولحاقاً-، فيظهر -والعلم عند الله- أن تهذيب صفة التقتير يمكن استنباطه من الآية نفسها بما يلي:

الأول: النظر والتأمل في عظمة خزائن الله، فمن عظّم الله ﷻ وعرف جوده وكرمه وعظمة خزائنه أيقن بالخلف منه، فجاد على عباد الله من مال الله، فربنا ﷻ يقول في هذه الآية: [قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾] {الإسراء:١٠٠} فَذِكْرُ الخزائن هنا فيه دعوة للتأمل في عظمتها، ليعظم التنفيرُ من صفة التقتير، والتشنيعُ والتبكيت على من اتصف بها ولم يسعَ في الخلاص منها، بل إن من لم يتصور عظمة تلك الخزائن لم يقع في قلبه هذا التوبيخ الوارد في الآية موقعه، ولم يؤثر فيه التأثير البالغ، فربنا ﷻ لم يقل: لو أنتم تملكون مالاً كثيراً، ولم يقل: لو أنتم تملكون مال قارون؛ بل قال: [لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ] فَذَكَرَ خزائن رحمته -والرحمة ضد العذاب، ولا يأتي منها إلا الخير-: وقد فُسرت بمفاتيح الرزق ومقاليد السموات والأرض، والمال والنعم، التي لا تفنى ولاتبيد[(٢)].

كما أن التعبير بملك خزائن رحمة الله فيه إزالة كل توهم، وقطع أيّ شكٍ في أن البخل والشح والتقتير ليست صفة لازمة للإنسان، فكأنه قيل للإنسان: جاهد نفسك على التخلص من هذه الصفة الراسخة فيك، فإن اعترض وقال: هذه الصفة قد تكون راسخة في الإنسان قليل المال، مزجى البضاعة، أما كثير المال فإنه لن يبخل ولا يقتر، فيقال: كلا، الأمر خلاف ما ظننت، فإنها في كل إنسان حتى لو ملك خزائن الله التي لا تفنى ولا تبيد، فكيف بمن ملك دون ذلك بكثير؟! فيحمله هذا على الاستسلام وترك المكابرة ثم على مجاهدة نفسه على البذل والإنفاق والجود، فإن من لم يُسلّم أنه متصف بهذه الصفة لن يسعى في التخلص منها، قال القاسمي -رحمه الله-: «وَذَكَرَ هذا المعنى في أسلوب بيان ما فُطر عليه الإنسان، تذكيراً له بنقصه وضعفه، وإشفاقه وحرصه، ليعلم أنه غير مخلوق سدى، يخلّى بينه وبين ما تتقاضاه به نفسه وهواه»[(٣)].

الثاني: الحث على الإنفاق، وعدم خشيته، إذ حقّ الإنفاق أن يُفرح به، لا أن يخشى، وذلك لما استقر في النفوس من

---

(١) المحرر الوجيز (ص١١٦٩).
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٥٣/٢)، جامع البيان (٩٨/١٥)، المحرر الوجيز (ص١١٦٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص٥٣٧).
(٣) محاسن التأويل (٦/ ٥١٨)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

عظيم عوائده، وجليل فوائده، **فعند** قوله سبحانه: [خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ] {الإسراء:١٠٠} نقل الواحدي -رحمه الله- عن المبرّد[١] أن المعروف في الإنفاق أنه إخراج المال عن اليد، ومعنى الكلام في الآية: خشية أن يستفرغكم الإنفاق ويجحف بكم، فيكون الكلام من باب حذف المضاف على تقدير: خشية ضرر الإنفاق وما أشبهه[٢]، فيظهر -والله أعلم- أن التعبير بـ(خشية الإنفاق) فيه توبيخٌ للإنسان البخيل الشحيح المقتر، إذ كيف يخشى ما لا يُخشى؛ وقد جاء التوبيخ في القرآن على خشية ما لا ينبغي أن يخشى في قوله سبحانه: [وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا ٣١] {الإسراء:٣١}، وقوله: [أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣] {التوبة:١٣}، وقوله: [وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا] {التوبة:٢٤} فظاهر من هذه الآيات التوبيخ، على هذه الخشية، التي ليست في محلها. والله أعلم.

المبحث السادس: صفة الجدل:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الجدل، وبيان حكم القرآن عليها:

الجدل لغة: من جدل، وهو أصل واحد، بمعنى استحكام الشيء في استرسالٍ فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، والجدْل: شدة الفتل، وشُبه به الجدال في الكلام؛ لأن كلاً من المتجادلَين يريد أن يفتل صاحبه عما هو عليه ويصرفه عن رأيه[٣].

وفيه معنى الصلابة، فيقال: جَدَل: إذا صَلُب وقوي، وسميت الأرض الصلبة: جَدَالة، ومنه أُخذ أصل الجدال: وهو الصراع وإسقاط الإنسان صاحبَه على الجدالة أي: الأرض الصلبة.

والجَدَل: اللدد في الخصومة، والغرض منه: إلزام الخصم وإفهام القاصر عن إدراك البراهين؛ والمجادلة والجدال: المخاصمة والخصام[٤].

---

(١) هو: مُحَمَّد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس المبرد الأزدي البصري، إمام النحو، صاحب (الكامل)، توفي سنة (٢٨٥ أو ٢٨٦هـ). انظر: إنباه الرواة (٢٤١/٣)، بغية الوعاة (٢٦٩/١).

(٢) البسيط (١/ ٢٣٤)

(٣) ينظر: البسيط للواحدي (٧٨/٧)، مفردات القرآن للراغب (ص١٨٩) مادة: جدل.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٦٤٩/١٠)، مقاييس اللغة (٤٣٣/١)، تاج العروس (٢٧٨/٢) مادة: جدل.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

صفة الجدل في القرآن: جاء في القرآن الجدل والجدال والمجادلة، فقيل: الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة(١)، وقيل: هو المراء الذي يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، وقيل: هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، وكلها متقاربة؛ ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فمذموم(٢).

وجاء وصف الإنسان بالجدل في قوله تعالى: [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾] {الكهف:٥٤} أي: بيّنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكّروا فينيبوا، ويعتبروا فيتعظوا وينزجروا عما هم عليه، ولكيلا يضلوا عن الحق، ومع هذا البيان فإن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق إلا من هدى الله بصيرته لطريق النجاة، وأما غيره: فهو كثير المراء وخصومة، لا ينيب لحقّ، ولا ينزجر لموعظة(٣).

وحكم القرآن عليها هنا: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة(٤)، إلا إذا كانت لغرض شرعي صحيح، كبيان الحق بالتي هي أحسن، فتحمد حينئذٍ، ولذا أرشد النبي ﷺ إلى تركها وإن كان صاحبها محقاً، فقال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة(٥) لمن ترك المراء وإن كان محقّا»(٦)، قال الشوكاني -رحمه الله-: «فينبغي أن يقصر جوازه على المواطن التي تكون المصلحة في فعله أكثر من المفسدة، أو على المواطن التي المجادلة فيها بالمحاسنة لا بالمخاشنة»(٧).

وما عدا ذلك فنبقيه على الأصل، وهو المنع لكونها مذمومة، وتوغر الصدور بين المؤمنين، وتسبب الغضب والشحناء بينهم، ولذا فإن المتبادر من قوله سبحانه: [وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾] {الكهف:٥٤} ذم الجدل(٨)، وأنها وردت على

---

(١) ينظر: مفردات القرآن للراغب (ص١٨٩) مادة: جدل.
(٢) ينظر: المصباح المنير للفيومي (٩٣/١).
(٣) ينظر: جامع البيان (٢٩٩/١٥)، تفسير القرآن العظيم (١٧٠/٥).
(٤) ينظر: نظم الدرر (٤٨١/٤)، روح المعاني للآلوسي (٧٧٥/٨).
(٥) رَبَض الجنة: ما حولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ص٣٤١) مادة: ربض.
(٦) رواه أبو داود برقم (٤٨٠٠) (ص٩٧٩) كتاب الأدب، باب حسن الخلق، وحسنه الألباني في "الصحيحة" برقم (٢٧٣) (٥٥٢/١).
(٧) فتح القدير (٥٧٧/١).
(٨) ينظر: التسهيل (٣٥/٣)، البحر المحيط (٣٠٩/١٤).

سبيل التنديد بخلق المجادلة والمماراة، الذي يكون في كثير من الناس، وبخاصة الذي لا يكون من أجل الحق، وإنما من أجل الباطل، وينطوي في ذلك: تلقينٌ مستمرُ المدى بتقبيحِ صفة الجدل كما هو المتبادر(١).

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ أُختُلف في ذلك: فقيل: المراد بالإنسان هنا: الكافر(٢)، واختار الجمهور أن المراد: جنس الإنسان فتكون عامة، وهو الراجح(٣)، قال البغوي -رحمه الله-: «وقيل: المراد من الآية الكفار ... وقيل: هي على العموم، وهذا أصح»(٤)، وقال ابن عطية -رحمه الله-: «[ٱلْإِنسَٰنُ] يريد الجنس...فقد استعمل الآية على العموم العموم في جميع الناس»(٥)، وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «[وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ] {الكهف:٥٤} بعض المفسرين يقول [ٱلْإِنسَٰنُ] يعني الكافر، ولكن في هذا نظر؛ لأنه لا دليل على تخصيصه بالكافر، بل نقول [ٱلْإِنسَٰنُ] من حيث الإنسانية...ثم قال -رحمه الله-: إذا مر بك مثل هذا في القرآن الكريم [ٱلْإِنسَٰنُ] فلا تحمله على الكافر إلا إذا كان السياق يُعَيِّنُ ذلك، فإذا كان السياق يراد به ذلك، صار هذا عاماً يراد به الخاص، لكن إذا لم يكن في السياق ما يعين ذلك فاجعله للعموم، اجعله إنساناً بوصف الإنسانية»(٦)، واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: [خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾] {النحل:٤}(٧).

وبما جاء في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: «ألا تصليان؟» فقال علي ﷺ: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه، وهو يقول: [وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾] {الكهف:٥٤}(٨) قال الشنقيطي -رحمه الله-: «فإيراده ﷺ الآية على قول علي ﷺ: «إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا»: دليل على عموم الآية الكريمة،

---

(١) ينظر: التفسير الحديث لدروزة محمد عزت (٥/ ٨٠)

(٢) ينظر: تفسير يحيى بن سلام (١٩٣/١)، بحر العلوم (٣٥١/٢)

(٣) ينظر: جامع البيان (٣٠٠/١٥)، المحرر الوجيز (ص١١٩٩)، أضواء البيان (١٧٢/٤).

(٤) معالم التنزيل (٤١/٣).

(٥) المحرر الوجيز (ص١١٩٩).

(٦) تفسير سورة الكهف (ص٩٦).

(٧) ينظر: الكشاف (٥٣٥/٢).

(٨) رواه البخاري برقم (١١٢٧) (٥٠/٢) كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل، ومسلم برقم (٧٧٥) (١٨٧/٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي في مَنْ نام الليل أجمع حتى أصبح.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وشمولها لكل خصام وجدل» وقال -رحمه الله-: «وسبب النزول لا ينافي تفسير الآية الكريمة بظاهر عمومها؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»(١).

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الجدل:

هذب القرآن الكريم صفة الجدل -في غير هذا الموضع- بالنهي عن الجدال إلا أن يكون بالتي هي أحسن، وأما تهذيبها في هذه الآية وما جاء في سياقها فهو — والعلم عند الله- بالتلميح والإشارة إلى ضرورة الانقياد للحق، والتدبر والنظر لما صُرّف ونُوّع في القرآن من أمثال ومواعظ وعبر تقود إليه، وتدل عليه؛ فإن سياق الآية في أن ضرب الأمثال في القرآن إنما يرشد إلى الحق، وأن الجدال يصرف عنه، قال سبحانه: [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾] {الكهف:٥٤} أي: صرفنا لهم من كل مثل يحتاجون إليه، مما سبيله الإرشاد إلى الحق، لينقادوا إليه، ويتعظوا وينزجروا عما هم مقيمون عليه، ولكن الشأن: أنهم لم يفعلوا ذلك؛ لأن الإنسان من جبلته وطبعه كثرة الجدال، فهو لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة(٢)؛ والواقع شاهد بأن الإنسان كلما كان أكثر انقياداً للحق، وانتفاعاً بالمواعظ كان أقل جدلاً، وعكسه بعكسه؛ وهذا يوجب الحذر من الجدال الذي تغلب مفسدتُه مصلحتَه، ويتبين به أيضاً مغبة الجدال وسوء عاقبته، إذ إن هؤلاء الكفار الذي أخبرنا الله عن حالهم السيئة، كان من أعظم أسباب هلاكهم وخذلانهم وانصرافهم عن الحق هو كثرة جدالهم.

وتأمل وقوع هذه الآية الكريمة: [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾] {الكهف:٥٤} بين قوله: [وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾] {الكهف:٥٣} وقوله: [وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾] {الكهف:٥٥} ثم تكرار التنديد بهم -على جدالهم- مرة أخرى بقوله: [وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾] {الكهف:٥٦} =يتبين لك: أن الجدال من أعظم الصوارف عن الحق، الموصلة لأسباب الهلاك ودخول النار، نسأل الله السلامة والعافية؛ ولله ﷻ الحجة البالغة إذ بيّن لهم في كتابه كل طريق يوصل إلى السعادة، ويعصم من الشقاوة، وصرّف لهم أمثال الترغيب والترهيب والأخبار الصادقة النافعة للقلوب — اعتقاداً وطمأنينة- وهذا يوجب التسليم

(١) أضواء البيان (١٧٢/٤).
(٢) ينظر: جامع البيان (٣٠٠/١٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

والانقياد، لا المجادلة والمكابرة والعناد[١]، التي هي أخلاق ذميمة يمنع المسلمَ منها تأديبُ الإسلام له[٢]، فالمسلم عندما يعرض له الحق لا يكون مجادلاً، بل يكون مستسلماً للحق[٣].

المبحث السابع: صفة الكفران:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الكفران، وبيان حكم القرآن عليها:

الكفران لغة: من كفر، يكفر كفوراً وكفراناً، وهو أصل صحيح يدل على الستر والتغطية، وكفران النعمة: جحودها وسترها، لذا يقال: كفر فلان النعمة كفراً: إذا لم يشكرها، فهو كفور[٤].

الكفران في القرآن: قال الراغب -رحمه الله-: «الكفران: في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكفر: في الدين أكثر، والكفور: فيهما جميعا... ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود... والكفور: المبالغ في كفران النعمة»[٥]، وجاء وصف الإنسان بالكفران في عدة آيات، منها قوله: [وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾] {هود:٩} وقوله: [وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾] {الشورى:٤٨} ووُصف هنا بالكفران حال المصيبة.

أما وصفه بالكفران، مما له تعلق بأصل الخِلقة والجبلة: ففي قوله تعالى: [وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾] {الحج:٦٦}، أي: أنه سبحانه وتعالى هو وحده المنعم الذي أنعم عليكم بهذه النعم، فجعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم عند انقضاء آجالكم، ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة للثواب والعقاب، [إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾]: أي: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٥٥٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٤٧/١٥).

(٣) ينظر: تفسير سورة الكهف لابن عثيمين (ص٩٦).

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (٧٨٦/٢)، مقاييس اللغة (١٩١/٥)، لسان العرب (٤٥٩/٦) مادة: كفر.

(٥) مفردات القرآن (ص: ٧١٤) مادة: كفر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

بها عليه[١].

والجملة مشتملة على مؤكدات: إنَّ، واللام، وفي ذلك تنبيه على شدة ترسخ الصفة فيه، وما تنطوي عليه نفسه من كفران النعمة، وقلة القيام بشكرها، لاسيما مع مجيء (كان) في قوله: [وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾] {الإسراء:٦٧}[٢]، والتي تأتي أحياناً مسلوبة الزمان لتدل على تحقق اتصاف الموصوف بهذه الصفة[٣].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة في كل إنسان، إلا من عصمه الله فسلمه منها، قال ابن عثيمين -رحمه الله-: «الإنسان بطبيعته كفور مبين»[٤].

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ اختلف في المراد بالإنسان هنا، فقيل: الكافر عموماً[٥]، وخصه بعضهم بكافر معين، كأبي جهل وأبي بن خلف وأضرابهما، قال الآلوسي -رحمه الله-: «لعل ذلك من باب التمثيل»[٦].

والصحيح أنها: صفة نقص جبليّة مذمومة، طُبع عليها ابن آدم[٧]، فإن هداه الله وجاهد نفسه، وُفِّقَ للخلاص منها، وإلا بقي على طبيعته؛ لأن (أل) في الإنسان تفيد الاستغراق، ويكون الاستغراق حقيقياً، إن أريد بالكفران هنا كفران النعمة، وتكون المبالغة باعتبار آثار غفلته عن عبادة الشكر[٨]، ولذا قال سبحانه: [وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾] {سبأ:١٣}، فصار كفران النعم هو الأصل، وأما شكرها فنادر قليل، وإن أريد به كفران الدين، فالأمر كذلك، وقد قال سبحانه في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته»[٩]، قال السعدي -رحمه الله-: «[إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ] أي: جنسه، إلا من عصمه

(١) ينظر: جامع البيان (٦٢٥/١٦)، الكشف والبيان (٤٠١/١٨)
(٢) ينظر: مفردات القرآن للراغب (ص: ٧١٥) مادة: كفر.
(٣) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين (١٢٦/١).
(٤) تفسير سورة الزخرف (ص٨٠).
(٥) ينظر: البسيط (٤٨٩/١٥).
(٦) روح المعاني (٦٦٠/٩).
(٧) ينظر: جامع البيان (٦٢٥/١٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص٦٣٣)، تفسير سورة الزخرف لابن عثيمين (ص ٨٠).
(٨) ينظر: التحرير والتنوير (٣٢٦/١٧).
(٩) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧) (١٧/٨) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الله، [لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾] لنعم الله»[(١)]، وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «وقوله: [إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾] {الزخرف:١٥} المراد المراد الجنس، يعني أن جنس الإنسان [لَكَفُورٌ] بَيّن الكفر، فلا يَرِد على هذا أن يقال: مِن الإنسان مَن هو مؤمن كامل الإيمان؛ لأننا نقول: إنه قد يراد به الجنس، كقوله: [وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾] {الأحزاب:٧٢} والمؤمن ليس ظلوماً جهولاً، لكن جنس الإنسان ظلوم جهول»[(٢)].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الكفران:

بالنظر إلى سياق الآيات يظهر -والعلم عند الله- أن تهذيب هذه الصفة يكون بالتأمل والتفكر في نعم الله، تأملاً وتفكراً يقود إلى الشكر، فنعم الله التي أنعم بها على ابن آدم من مبدأ خلقه، إلى يوم الفصل والقضاء بين الخلائق، وتسخير الكائنات له في هذه الحياة كلها شاهدة بذلك ، ولنتأمل قول ربنا ﷻ: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾] {الحج:٦٣} إلى قوله: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾] {الحج:٦٥} فسنرى أن السياق سياق امتنان وتعداد للنعم التي لا تُعدّ ولا تحصى، وقد أكد ذلك بتذييل الآية بقوله: [إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾]، ثم عطف عليها قوله: [وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾] {الحج:٦٦}، فمن تأمل هذه النعم، وأجال فيها النظر مرة بعد مرة، قاده ذلك إلى الاعتراف للمنعم بها، والقيام بشكرها، إن كان من عباد الله الموفقين، فالسياق كله في التذكير بنعم الله ﷻ، والتعريض بشكره على هذه النعم، كما دل عليه التذييل عقب تعداد هذه النعم بقوله: [إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾]، فربنا ﷻ لما كرر وقال: [أَلَمْ تَرَ]... [أَلَمْ تَرَ]... أعقبه بقوله: [وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ]، فصدر هذه الآية فيه ذكر جملة النعم، لذا ناسب أن تعطف على سابقتها المتضمنة امتناناً واستدلالاً كذلك؛ فقوله: [إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾] {الحج:٦٦} تذييل يجمع المقصد من تعداد نعم المنعم، بذكر جلائل النعم المقتضية انفراده باستحقاق الشكر، واعتراف الخلق له بالوحدانية سبحانه وتعالى[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٣٣).

(٢) تفسير سورة الزخرف (ص ٧٨).

(٣) ينظر: روح المعاني (٦٦٠/٩)، التحرير والتنوير (٣٢٦/١٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المبحث الثامن: صفتا الظلم والجهل:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفتي الظلم والجهل، وبيان حكم القرآن عليهما:

أولاً: صفة الظلم:

الظلم لغة: من ظلم، مصدر ظلمتُه أظلمه ظلماً، وأصل الظلم: وضعك الشيء في غير موضعه، ثم كثر حتى سُمي كل عسفٍ ظلماً، ويقال: ظالم، وللمبالغة: ظلوم وظلام؛ ويسمى النقصان ظلماً؛ وذهاب الضوء وأول ما يحجب الضوء عنك ظلمة، وبينها وبين تسمية الظالم بهذا الاسم مناسبة ظاهرة، وسموا: كل تصرف في ملك الغير بغير حق، إما بزيادة أو نقصان أو عدول به عن وقته وزمانه ظلماً[(١)].

الظلم في القرآن: يطلق الظلم ويراد به: مجاوزة الحق، فيما يقل أو يكثر[(٢)]، فيطلق على:

الأول: الشرك، كما قال سبحانه: [وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾] {لقمان:١٣}.

الثاني: ظلم الإنسان غيرَه، كما قال سبحانه: [إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ] {الشورى:٤٢}.

الثالث: ظلم الإنسان نفسه بالذنوب، كما قال سبحانه: [وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾] {البقرة:٥٧}.

الرابع: النقص، وذلك في قوله سبحانه: [كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا] {الكهف:٣٣}.

وقد جاء وصف الإنسان بالظلم في قوله تعالى: [إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾] {الأحزاب:٧٢} وظلوم: صيغة مبالغة، وظلم الإنسان هنا هو ظلمه نفسه، إذ حمّلها ما يشق عليها، وتلقى العنت بسببه، فقد يقصر في حمل الأمانة إما عن عمد وهو الظلم، أو عن تفريط وهو الجهل، فهو في

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٤٦٨/٣)، لسان العرب (٢٦٦/١٥)، تاج العروس (٥٥١/٦) مادة ظلم.

(٢) ينظر: مفردات القرآن للراغب (ص٥٣٧) مادة: ظلم.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

فطرته ظلوم جهول، معرض للظلم والجهل ما لم يعصمه وازع الدين(١).

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة مطلقاً(٢)، ومِنْ ذمّ القرآن للظلم أنه وصف به أعظم الذنوب، وهو الشرك، كما وصف به أعظم المذنبين، وهم الكفار فقال سبحانه: [وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾] {البقرة:٢٥٤}، وفي هذا تنفير عظيم للمؤمن من هذه الخصلة الذميمة، التي هي من جبلته وطبيعته، فوجب عليه مزيد الاحتياط والعناية في التخلص منها، والبعد عنها، قال السعدي -رحمه الله- : «هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، ظالم متجرئ على المعاصي...إلا من هداه الله»(٣).

ثانياً: صفة الجهل:

الجهل لغة: الجيم والهاء واللام: أصلان، يدل أحدهما على خلاف العلم، والآخر على الخفة وخلاف الطمأنينة؛ والجهل: التقدم على الأمور المنبهمة بغير علم؛ والجهالة أن يفعل فعلاً بغير علم، وفلان جهول ويجهل على قومه: يتسافه عليهم، وأرض مجهلة: لا أعلام فيها ولا جبال(٤)، وعليه: فمدار المعنى على خلو الباطن مما يفيد، مع ملازمة الخفة؛ فالجاهل: خالي العلم، والجهالة: خلو الحلم لما فيها من خفة وطيش وسفه(٥)، ولذا قيل في معنى قوله: [إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴿١٣٠﴾] {البقرة:١٣٠} إلا من جهل نفسه(٦).

صفة الجهل في القرآن: ذكر الراغب -رحمه الله- أن الجهل على ثلاثة أضرب:

- الأول: خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل.
- الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.
- الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، كمن يترك الصلاة

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣٠/٢٢).
(٢) ينظر: المحرر الوجيز (ص١٥٢٦)، روح المعاني (٣٢٦/١١) التحرير والتنوير (١٣٠/٢٢).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٨٥).
(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٥٦/٦)، مقاييس اللغة (٤٣٩/١)، تاج العروس (٥٢٤/٢) مادة جهل.
(٥) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣٥٦/١).
(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ١٨٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

متعمداً، ومنه قوله تعالى: [قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾] {البقرة:٦٧} فجعل فعل الهزؤ جهلاً، وقال ﷻ : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾] {الحجرات:٦}[(١)].

وجاء وصف الإنسان بالجهل في قوله تعالى: [إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾] {الأحزاب:٧٢} ففيها: يعظّم الله ﷻ شأن الأمانات كلها، وأنه عرضها على مخلوقات عظام، فأبين أن يحملنها شفقاً ألا تقوم بالواجب عليها، ثم عرضها على مخلوق هو أقل من تلك المخلوقات في الخلقة، ومع ذلك قبلها وحملها مع ظلمه وجهله، فتعرض لهذا الحمل الثقيل، لكونه غِراً بأمر ربه، جهولاً بالذي فيه الحظ لنفسه، جهولاً بعاقبة ما تحمل[(٢)].

وعليه: فالجهول هنا: من لا يدرك عواقب الأمور؛ ولاشك أن هذا هو الأصل في الإنسان، إلا من وهبه الله نوراً وفرقاناً وبصيرة، بحيث يتأمل وينظر في عواقب الأمور فيتوسم ويتفرس فيما هو الأصلح له في دينه وأخراه، مستضيئاً بنور الكتاب والسنة، وهذا قليل في الناس.

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة، وقد ترد ولا يراد بها الذم وهو قليل، نحو قوله: [يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ] {البقرة:٢٧٣} أي: من لا يعرف حالهم[(٣)].

وهل هاتان الصفتان خاصتان بالكافر أم عامتان في كل إنسان؟ أُختلف في ذلك:

فقيل: المراد بالإنسان هنا: الكافر[(٤)]، واختار الجمهور أنها عامة في كل إنسان[(٥)]، قال ابن عطية -رحمه الله-: «وقال بعضهم: الإنسان: النوع كله، وهذا حسن مع عموم الأمانة»[(٦)]، وقال ابن تيمية -رحمه الله-: «أخبر الله عن جنس الإنسان أنه أنه ظلوم جهول»[(٧)]، وقال أبو حيان -رحمه الله-: «والظاهر أنه نوع الإنسان، ليس مخصوصاً بمعين ولا بوصف، والأمانة عامة،

(١) ينظر: مفردات القرآن (ص٢٠٩) مادة: جهل.
(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥١١/٣)، جامع البيان (١٩٦/١٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص٧٩١).
(٣) ينظر: مفردات القرآن (ص٢٠٩) مادة: جهل.
(٤) رواه ابن جرير في جامع البيان (٢٠٦/١٩) عن الحسن، واختاره يحيى بن سلام كما في تفسيره (٣٨٠/١).
(٥) ينظر: جامع البيان (١٩٦/١٩)، البسيط (٣٠٦/١٨)، المحرر الوجيز (ص١٥٢٦)، التحرير والتنوير (١٢٥/٢٢).
(٦) المحرر الوجيز (ص١٥٢٦).
(٧) منهاج السنة (٢٨٧/٨).

فيتوافقا عموماً»[١]، وقال الآلوسي -رحمه الله-: «ويكفي في صدق الحكم على الجنس بشيء: وجوده في بعض أفراده، فضلاً عن وجوده في غالبها... ووصف الجنس بصيغتي المبالغة: لكثرة الأفراد المتصفة بالظلم والجهل منه، ... بل لا يخلو فرد من الأفراد عن الاتصاف بظلمٍ ما، وجهلٍ ما»[٢].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفتي الظلم والجهل:

جاء تهذيب هاتين الصفتين بالنهي عنهما صريحاً في مواضع من الكتاب العزيز، وأما تهذيبهما في هذا الموضع فبالنظر إلى السياق، وما سبق الآية وما لحقها، يتبين -والله أعلم- أن التهذيب هو بالأمر بالتقوى، والإرشاد إلى الإيمان والتوبة، وكلها لا تتم إلا بالعلم، كما قال الإمام أحمد -رحمه الله-: «ليس يتقي من لا يدري ما يتقي»[٣]، فالعلم هو سبيل الخلاص من الجهل، قال ابن تيمية -رحمه الله-: «والإنسان خُلق ظلوما جهولاً، فالأصل فيه عدمُ العلم، وميلُه إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائماً إلى علمٍ مفصلٍ، يزول به جهله»[٤].

والمناسبة ظاهرة بين الآيات، إذ جاء الأمر بالتقوى ثم تعظيم الأمانة، ووصف الإنسان بالظلم والجهل، ثم ختمت الآيات بالإرشاد إلى الإيمان والتوبة، قال ابن عاشور -رحمه الله-: «وموقع هذه الآية عقب ما قبلها، وفي آخر هذه السورة يقتضي أن لمضمونها ارتباطاً بمضمون ما قبلها، ويصلح عوناً لاكتشاف دقيق معناها»[٥].

ففي قوله: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠] {الأحزاب:٧٠} أمرٌ صريح بالتقوى، وفيه تمهيدٌ لما سيأتي بعده من تعظيم شأن الأمانة في قوله: [إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا] ثم وصف الإنسان بصفتين هما سبب تضييعه لها، [وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢] وهذا مؤدٍ به إلى العذاب، ولذا قال: [لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ] ثم ختم سبحانه الآيات ببيان سبب النجاة من العذاب فقال: [وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣] {الأحزاب:٧٣} فالإرشاد إلى الإيمان والتوبة ظاهر من الآية، قال ابن

(١) البحر المحيط (٣٨٠/١٧).
(٢) روح المعاني (٣٢٦/١١).
(٣) رواه عنه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٤/٢).
(٤) جامع الرسائل (١/ ١٠٠).
(٥) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٢٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

تيمية -رحمه الله-: «استثنى من العذاب من تاب»[١]، وقال: «الجهل والظلم متقاربان، فالجاهل لا يدري أنه ظالم، والظالم جهل الحقيقة المانعة له من العلم»[٢].

فتبين مما سبق أن السعي في تحصيل العلم، وما ينتج عنه من آثار عظيمة كالإيمان والتقوى والتوبة هو سبب الخلاص من هاتين الصفتين، وبهما تهذيبها؛ ولذا قال ابن عاشور -رحمه الله-: «ويجوز أن يراد: ظلوماً جهولاً: في فطرته، أي: فيه طبع الظلم والجهل، فهو معرض لهما، ما لم يعصمه وازع الدين»[٣]، وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «فالمؤمن يمنعه إيمانه عن الظلم، ويمنعه إيمانه عن السفه والغي»[٤]، والله أعلم.

المبحث التاسع: صفات الهلع والجزع والمنع:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفات الهلع والجزع والمنع، وبيان حكم القرآن عليها:

الهَلَع: لغة: أسوء الجزع وأفحشه، وهو أصل صحيح يدل على ضجر وسرعة وحِدّة، وقيل: الهلع: الحرص، وقيل: الجزع وقلة الصبر، ورجل هَلوع: حريص ضجور، يفزع ويجزع من الشر[٥].

الجَزَع: لغة: نقيض الصبر، وهو مأخوذ من الجَزْع الذي له أصلان: أحدهما يدل على الانقطاع، ومنه: جزع الوادي، أي: قطعه؛ لذا قيل: الجزع: انقطاع الصبر عما نزل به، وسُمي به أشد الحزن؛ لأنه يقطع الإنسان عما هو بصدده، والثاني: جوهر يتخذ منه الخرز المعروف وفيه ثقب في وسطه، ويقال رجل جازع، فإذا كثر منه الجزع فهو جزوع[٦].

المنع: لغة: ضد الإعطاء، ويقال: هو تحجير الشيء، ورجل منوع: يمنع غيره[٧].

---

(١) منهاج السنة (٢٨٧/٨).
(٢) جامع الرسائل (١٨١/٢) بتصرف يسير.
(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٣٠).
(٤) تفسير سورة الأحزاب (ص٥٣٦).
(٥) ينظر: تهذيب اللغة (١٤٤/١)، مقاييس اللغة (٦٢/٦)، لسان العرب (٢٥٤/١١) مادة: هلع.
(٦) ينظر: تهذيب اللغة (٣٤٣/١)، مقاييس اللغة (٤٥٣/١)، لسان العرب (٣٩٧/٩) مادة: جزع.
(٧) ينظر: مقاييس اللغة (٢٧٨/٥)، لسان العرب (٢٢٠/١٠) مادة: منع.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الهلع والجزع والمنع في القرآن: فُسر الهلع في القرآن بأنه شدة الحرص، وقلة الصبر[١]، والأكثر على أن تفسيره ما جاء بعده، ففسر الهلع: بالجزع عند الشر، والمنع عند الخير؛ والجزع: انقطاع الصبر، والمنع: عدم الإعطاء؛ وجاء وصف الإنسان بهذه الصفات الثلاث في موضع واحد، فقال سبحانه: [۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾] {المعارج:١٩-٢١} قال الواحدي -رحمه الله-: «وأكثر المفسرين وأهل اللغة قالوا: تفسير الهلوع: قوله تعالى: [إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾] وهو الحريص الجازع، وألفاظ المفسرين في هذه قريبة المعنى؛ بعضها من بعض»[٢]، الإنسان من حيث هو، ووُصف في طبيعته الأصلية أنه هلوع [إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾] فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله؛ [وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾] فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء[٣]، فهو ضجور لا يصبر على خير ولا شر، حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق[٤]، واستثنى الله من الناس: المصلين.

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة، ولا يسلم منها إلا أهل الصلاة، وذلك لعظيم أثرها، وكبير نفعها، قال البقاعي -رحمه الله-: «قوله: [۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾] {المعارج:١٩} أي: جُبل جبلةً هو فيها بليغ الهلع، وهو أفحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر، والشح على المال، والرغبة فيما لا ينبغي»[٥].

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ اختلف في ذلك فقيل: هي صفة خاصة بالكافر فقط[٦]، وقيل: بل هي عامة في كل إنسان، إلا المؤمنين المصلين الذين جاهدوا أنفسهم على التخلص من هذه الصفة المذمومة، وهو الراجح[٧]،

---

(١) البسيط (٢٢/٢٢٥).
(٢) البسيط (٢٢/٢٢٥).
(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٠٥٠).
(٤) قاله المبرد كما في لسان العرب (١٠/٢٢٠)، والفراء في معاني القرآن له (٣/١٨٥)، والنحاس في إعراب القرآن (٦/٥٠٧).
(٥) نظم الدرر (٨/١٥١).
(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/٤٣٧).
(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/١٧٣)، الكشف والبيان (٢٧/٣٦١)، تفسير القرآن العظيم (٧/٣٨١)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٠٥٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

قال الثعلبي -رحمه الله-: «واستثنى الجمع من الواحد؛ لأن الإنسان: اسم جنس، وهو في معنى الجمع»[(١)]، والاستثناء معيار العموم[(٢)]، وقال ابن كثير -رحمه الله-: «يخبر الله تعالى عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة... -ثم قال- [إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾] أي: الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم، إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير، ويسر له أسبابه وهم المصلون»[(٣)].

وهذه الصفات التي وُصف بها الإنسان هنا موافقة لما وصف به في قوله تعالى: [وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾][هود: ٩-١١] فبينها توافق ظاهر، ولذا كان بعض المفسرين يفسر آيات هود بآيات المعارج، منهم الرازي -رحمه الله-: إذ قال: «[إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟] {هود:١١} الاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل، فثبت أن الإنسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر، وذلك يدل على ما قلناه، -ثم قال- هذه الآية موافقة على هذا التقرير لقوله تعالى:[وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾] وموافقة أيضا لقوله تعالى:[۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾]»[(٤)].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفات الهلع والجزع والمنع:

هذب القرآن الكريم هذه الصفة بالحث على المداومة على الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، فربنا ﷻ لما وصف الإنسان هنا بصفة الهلع والجزع والمنع، استثنى أهل الصلاة المداومين عليها، فقال سبحانه: [إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾]، ولا يداوم عليها إلا مؤمن، والإيمان: صبر وشكر، ينافيان الجزع والمنع، لذا قال الثعلبي -رحمه الله- : «[إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾] {المعارج:٢٢} هم المؤمنون عامة، فإنهم يغلبون فرط الهلع بحكم الشرع، لثقتهم بربهم ويقينهم بتقديره»[(٥)].

---

(١) الكشف والبيان (٣٦١/٢٧).
(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٧٣/٥)، التفسير الكبير (٣٠/ ٦٤٣).
(٣) تفسيره (٣٨١/٧).
(٤) التفسير الكبير (١٧/ ٣٢٢)
(٥) الكشف والبيان (٣٦١/٢٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

فهذا الإرشاد من الله ﷻ إلى المداومة على الصلاة –بعد وصف الإنسان بما جُبل عليه–: من آثار رحمته سبحانه بخلقه، إذ الإنسان بطبعه يسارع في آثار ما جُبل عليه؛ والصلاة تمنعه من ذلك؛ لأنها تحمل صاحبها على حفظ حدود الشرع، ولا كرامة للإنسان أعظم من حفظ حدود الشرع، مع المنافاة لطبعه وما جُبل عليه، فيكون بذلك جامعاً للإيمان بنصفيه: الصبر والشكر(١).

ولذا أمر الله بالاستعانة بها وبالصبر، فقال: [وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾] {البقرة:٤٥} ، فدل على أن الصلاة من أعظم ما يعين المؤمن على التخلص من هذه الصفة المذمومة، كيف لا؟ والعبد يناجي فيها ربه ﷻ، ويرفع الحجاب فيما بينه وبينه، فينطرح بين يديه، ويبث له همومه وشكواه، ولا شك أن هذا له أثر بالغ على سلوك العبد، مما يجعله صابراً محتسباً عند الضراء، شاكراً منفقاً جواداً عند النعماء، وقد خلقه الله: يحب ما يسره ويهرب مما يكره، ثم تعبّده بإنفاق ما يحب، والصبر على ما يكره(٢).

المبحث العاشر: صفة الكند:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الكند، وبيان حكم القرآن عليها:

الكَنْد –لغةً–: القطع، والكُنُود –لغة–: كفران النعمة، من كند، يكند كنوداً، وهو أصل صحيح يدل على القطع، والكَنود: الجحود والكفور للنعمة، لأنه يكند الشكر، أي: يقطعه، ويقال: رجلٌ كنود وكنّاد، وامرأة كُنُد وكَنود: كفور للمودة وللمواصلة (٣).

الكند والكنود في القرآن: فسر جمهور المفسرين(٤) الكفور بالجحود لنعم ربه، وهو المروي عن ابن عباس ¶ إذ قال: «الكنود بلساننا أهل البلد: الكفور»، وكذا عن مجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم(٥). وجاء وصف الإنسان بالكنود في قوله

(١) ينظر: نظم الدرر (١٥١/٧).
(٢) قاله ابن كيسان كما نقله عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٦١/٢٧).
(٣) ينظر: مقاييس اللغة (١٤٠/٥)، لسان العرب (٣٨٥/٤)، تاج العروس (٢٤٦/٩) مادة: كند.
(٤) ينظر: جامع البيان (٥٨٤/٢٤)، البسيط (٢٥٠/٢٤)، المحرر الوجيز (ص٢٠٠٠).
(٥) رواه عنهم ابن جرير في جامع البيان (٥٨٤/٢٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

تعالى: [إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦] {العاديات:٦} أي: إن الإنسان لكفور جحود لنعم ربه[١].

وكلُّ منعٍ وقطع للحق والخير يدخل فيه[٢]، بل كل معصية لله ﷻ ومخالفة لأوامره يعد من الجحود والكفران لنعمه ﷻ، لذا فُسّر الكنود بالعاصي، الذي ينفق نعم الله في معاصي الله، وبالبخيل، وبالذي أَنْسَتْهُ الخصلة الواحدة من الإساءة الخصالَ الكثيرة من الإحسان، وبالذي يرى النعمة ولا يرى المنعم، وباللوام لربه، يعد المصائب وينسى النعم[٣]، وهذه أمثلة لبعض آثار هذه الصفة على الإنسان، لذا قال القرطبي -رحمه الله- -بعدما أورده هذه الأقوال-: «هذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود»[٤].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقص جبلية مذمومة، وهذا الأمر يعرض لكل إنسان على تفاوت فيه ولا يسلم منه إلا من عصمه الله، لأنه ناشئ عن غريزة جبلية وهي إيثار ملذات النفس، ولذا قد يذهل أو ينسى حق الله، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته، لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفس هـ، والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبته، والإنسان لا يخلو من أحوالٍ مآلُها إلى كفران النعمة، إما بالقول والقصد، أو بالفعل والغفلة، فالشرك بالله كنود، والعصيان كنود، والغفلة عن صرف النعمة فيما أعطيت لأجله كنود، وهو متفاوت، فهذا خُلق متأصل في الإنسان، فلذلك أيقظ الله له الناس ليريضوا أنفسهم ويرغموها على مجانبة هذا الخلق الذميم[٥].

وهل هي خاصة بالكافر أم عامة في كل إنسان؟ اختلف في ذلك، بناءً على اختلافهم في المراد بالإنسان في الآية، فقيل: هو الكافر[٦]، وقيل: هو اسم جنس يشمل كل إنسان، قاله الجمهور[٧]، وهو الراجح -والعلم عند الله-، قال ابن عطية -رحمه الله-: «وقد يكون في المؤمنين الكفور بالنعمة»[٨]، وقال القرطبي -رحمه الله-: «قوله تعالى: [إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ

(١) ينظر: جامع البيان (٥٨٤/٢٤)، تفسير القرآن العظيم (٦٣٤/٧).
(٢) ينظر: البسيط (٢٥٠/٢٤).
(٣) أورد هذه الأقوال الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٥/٣٠).
(٤) الجامع (٤٣٩/٢٢).
(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٥٠٣/٣٠).
(٦) قاله الزجاج كما معاني القرآن وإعرابه (٢٦٩/٥).
(٧) ينظر: جامع البيان (٥٨٤/٢٤)، الكشف والبيان (١٨٠/٣٠)، المحرر الوجيز (ص٢٠٠٠)، الجامع للقرطبي (٤٣٦/٢٢)، تفسير القرآن العظيم (٦٣٤/٧)، التحرير والتنوير (٥٠٢/٣٠).
(٨) المحرر الوجيز (ص٢٠٠٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

لَكَنُودٌ ﴿٦﴾] {العاديات:٦}، هذا جواب القسم، أي: طُبع الإنسان على كفران النعمة»[١]، وقال السعدي -رحمه الله-: «فطبيعة الإنسان وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق»[٢]، واستدل الثعلبي -رحمه الله- له بالجمع الوارد في قوله سبحانه: [إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ] {العاديات:١١} فقال -رحمه الله-: «جمع الكناية؛ لأن الإنسان: اسم الجنس»[٣].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الكند:

هذب القرآن هذه الصفة المذمومة هنا–فيما يظهر والعلم عند الله– بأمرين:

الأول: التهديد والوعيد الوارد بعدها، فقد أقسم الله ﷻ في أول السورة فقال: [وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾] {العاديات:١} الآيات، ثم جاء جواب القسم بالإخبار والتأكيد على اتصاف الإنسان بهذه الصفة المذمومة فقال: [إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾] {العاديات:٦} ثم أعقب ذلك في آخر السورة بالتهديد والوعيد الذي يحمل من أحيا الله قلبه وأنار بصيرته على السعي الحثيث للتخلص من هذه الصفة والبعد عنها، حيث قال سبحانه –مذكراً هذا الكنود بيوم القيامة، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبله من الأهوال[٤]–: [۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾] وهذا تفريع على الإخبار بكنود الإنسان، موشح باستفهام إنكاري[٥]، وفيه تهديد ووعيد، وتعجبٌ من حاله، فإنه أمر عجيب، كيف يغفل عن ذلك اليوم؟! المخبر عنه بقوله: [وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾] {العاديات:١١} ؟! أي: خبير عالم مطلع على ما انطوت عليه النفوس، وما اكتسبته من أعمال خفية وجلية، فيجازي كل عامل بما عمل، ولا يظلم ربك مثقال ذرة[٦].

الثاني: ما تشير إليه لفظة [لِرَبِّهِۦ]، وتقديمها على متعلقها، في قوله سبحانه: [إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾] {العاديات:٦}

---

(١) الجامع (٤٣٦/٢٢).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص١١٠٠).
(٣) الكشف والبيان (١٩٠/٣٠).
(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦٣٥/٧).
(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٥٠٦/٣٠).
(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦٣٥/٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص١١٠٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ - ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

إذ فيها الاهتمام بشأن الشكر، والتشنيع على صفة الكنود[١]، والتذكير بنعم الله العظيمة التي ربى بها هذا الإنسان، وحقها الاعتراف والشكر، لا الجحود والكفر.

فالرب: هو المربي عبدَه بالنعم، أي: كيف يليق بك أيها الإنسان أن تكون جحوداً كفوراً لمن رباك بالنعم، وأسبغها عليك ظاهرة وباطنة، وكساك بها، تتقلب فيها من مبدأ خلقك إلى منتهاه، فلا تقوم إلا في نعمة، ولا تقعد إلا في نعمة، ولا تنتقل طرفة عين من حال إلى حال، وإلا وله سبحانه عليك من النعم ما لا تطيق لها عداً، ولا تستطيع لها حصراً؛ ومَنْ هذا شأنه معك، حقه أن يشكر فلا يكفر، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يُذكر فلا ينسى، ولا شك أن التأمل في هذا الأمر يهذب الإنسان ويحمله على البعد عن هذه الصفة المذمومة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره سبحانه على مزيد آلائه، وجزيل نعمائه، أن يسر وأعان على إتمام هذا البحث، فلا فضل إلا منه، ولا عطاء إلا من لدنه، سبحانه وتعالى، وقد خلصت منه بنتائج وتوصيات:

أهم النتائج:

بعد فضل الله ﷻ بتمام هذا البحث ظهر لي عدة نتائج، وهي كما يأتي:

١- صفات النقص الواردة في القرآن الكريم بصيغة اسم، التي وُصف الإنسان بها -جِبلةً - خمس عشرة صفة، وهي: الضعف، واليأس والقنوط، والفرح والفخر، والعجلة، والتقتير، والجدل، والكفران، والظلم والجهل، والهلع، والجزع، والمنع، والكند.

٢- الراجح في جميع هذه الصفات أنها صفات عامة في كل إنسان، وإن كان ظهورها في الكافر أكثر، إلا أنها موجودة في بعض المؤمنين، بحسب إيمانهم، فمستقل ومستكثر.

٣- حكم القرآن الكريم على هذه الصفات بأنها صفات نقص جبلية مذمومة، ما عدا صفة الضعف، فظهر للباحث أنها صفة نقص، لا صفة ذم.

٤- استثنى القرآن الكريم موطنين، تخرج فيهما صفتا الجدل والعجلة عن الذم، وهما: المجادلة بالتي هي أحسن لمصلحة راجحة، والعجلة إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٠٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٥- هذّب القرآن الكريم جميع هذه الصفات في مواضع عدة منه، وأما تهذيبه لها في سياق الآيات التي وردت فيها، فتفاوت هذا التهذيب بين تهذيب صريح يظهر لكل قارئ، وتهذيب إشارة وتلميح يحتاج إلى تدبر واستنباط.

أهم التوصيات:

يوصي الباحث إخوانه الباحثين بالتوصيات التالية:

١- دراسة صفات النقص الجبلية في الإنسان، الواردة في القرآن الكريم بصيغة الفعل.
٢- دراسة صفات النقص الجبلية في الإنسان الواردة في السنة النبوية.
٣- مزيد العناية بالبحوث والدراسات المتعلقة بتدبر القرآن الكريم، واستنباط التوجيهات الربانية، والإرشادات الإلهية، ففيها سعادة الدارين. وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

د.سلطان بن صغير بن نايف العنزي

"The refinement of the Qur'an to the qualities of the inherent deficiency in man" Objective Study

Prepared by Dr.Sultan Bin Sughayyir Alanazi

Assistant Professor in the Department of Islamic Studies in Northern Borders University

Abstract

This study aims to identify the qualities of the inherent deficiency in man. And are they solely about the infidel? Or do they include the Muslim as well? And how did the Qur'an refine them in the same Surah? This is in view of the context of the Surahs, previous and subsequent.

The researcher has followed these qualities; he defined them, and mentioned the Surahs stated therein. He also explained the views of the interpreters in what is meant as such, and why it was a deficiency in man. And is the mere description of man as such considered a vilification? Then he goes on to explain how the Qur'an refines those qualities.

This study is an objective interpretation, and the approach taken by the researcher is the inductive deductive approach.

The research ended with several results, the most important of which is that humans are described by fifteen attributes, and their refinement came in the context of what suits them.

Keywords: Qur'anic refinement, inherent qualities, qualities of man.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

فهرس المصادر والمراجع:

١. إبراهيم مصطفى وآخرون، "المعجم الوسيط". مجمع اللغة العربية، (ط٤، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢٤هـ).
٢. ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث". تحقيق: علي بن حسن الحلبي، (ط٣، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ).
٣. ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، "بدائع الفوائد". تحقيق: معروف مصطفى وآخرين، (ط١، بيروت، دار النفائس، ١٤٢٢هـ).
٤. ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، "طريق الهجرتين وباب السعادتين". تحقيق: مُحَمَّد أجمل الإصلاحي، زائد النشري، (ط١، مكة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ).
٥. ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين". تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، (ط١، مكة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ).
٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية". تحقيق: مُحَمَّد رشاد سالم، (ط١، الرياض، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، ١٤٠٦هـ).
٧. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، "جامع الرسائل". جمع: مُحَمَّد رشاد سالم، (ط١، الرياض، دار العطاء، ١٤٢٢هـ).
٨. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، "مجموع الفتاوى". جمع وترتيب: عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، (ط١، ١٤٢٣هـ).
٩. ابن جرير، مُحَمَّد بن جرير الطبري، "جامع البيان في تأويل آي القرآن". تحقيق: د.عبدالله التركي، (ط١، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ).
١٠. ابن جزي، مُحَمَّد بن أحمد الكلبي، "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: علي الصالحي، (ط١، مكة، دار طيبة الخضراء، ١٤٣٩هـ).
١١. ابن حبان، مُحَمَّد بن حبان التميمي، "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تحقيق: شعيب الأنارؤوط، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ).
١٢. ابن حنبل، أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني، "مسند الإمام أحمد". تحقيق: شعيب الأنارؤوط، (ط٢، بيروت، ١٤٢٩هـ).
١٣. ابن دريد، مُحَمَّد بن الحسن، "جمهرة اللغة". تحقيق: د.رمزي منير بعلبكي. (ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

١٤. ابن سلام، يحيى بن سلام التيمي، "تفسير يحيى بن سلام". تحقيق: د.هند شلبي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ).
١٥. ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير". (ط١، تونس، دار ابن سحنون).
١٦. ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن عثيمين، "تفسير سورة الأحزاب". (ط١، القصيم، مؤسسة الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين، ١٤٣٦ هـ).
١٧. ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن عثيمين، "تفسير سورة الكهف". (ط١، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).
١٨. ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن عثيمين، "تفسير سورة النساء". (ط١، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣٠ هـ).
١٩. ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن عثيمين، أصول التفسير ضمن"تفسير سورة الفاتحة والبقرة". (ط١، الدمام، ١٤٢٣هـ).
٢٠. ابن عطية، عبدالحق بن عطية الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". (ط١، بيروت، دار ابن حزم،١٤٢٣هـ).
٢١. ابن فارس، أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط١، بيروت: دار الجيل،١٤٢٠هـ).
٢٢. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، "غريب القرآن". تحقيق: أحمد صقر، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ).
٢٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: أ.د.حكمت بشير ياسين، (ط١، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣١هـ).
٢٤. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، "لسان العرب". (ط١، بولاق: المطبعة الأميرية، ١٣٠٠هـ).
٢٥. أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط٤، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٤هـ).
٢٦. أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف ابن حيان الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: مُحَمَّد عرقوسي وآخرين، (ط١، بيروت، الرسالة العالمية، ١٤٣٦هـ).
٢٧. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، "سنن أبي داود". تحقيق: عصام موسى هادي، (ط٢، الجبيل، دار الصديق، ١٤٣٤هـ).
٢٨. الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين، "سلسلة الأحاديث الصحيحة". (ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).
٢٩. الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين، "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان"، (ط١، جدة: دار باوزير، ١٤٢٤هـ).

٣٠. الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: فؤاد سراج، (ط١، القاهرة، الدار التوقيفية، ٢٠٠٨م).
٣١. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، "الجامع الصحيح". عناية: مُحَمَّد زهير الناصر، (ط١، بيروت، دار طوق النجاة، ١٤١٤٢هـ).
٣٢. البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، "معالم التنزيل". تحقيق: د.عثمان جمعة ضميرية وآخرين، (ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٧هـ).
٣٣. البقاعي، إبراهيم بن عمر البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
٣٤. البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي، "أنوار التنزيل مع حاشية الشهاب"، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث).
٣٥. جبل، مُحَمَّد حسن، "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم". (ط٢، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٢م).
٣٦. الحربي، حسين بن علي، "قواعد الترجيح عند المفسرين". (ط١، الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ).
٣٧. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع". تحقيق: محمود الطحان، (ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٨هـ).
٣٨. دروزة، مُحَمَّد عزت، "التفسير الحديث"، (ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣ هـ).
٣٩. الرازي، مُحَمَّد بن عمر بن الحسن التيمي، "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ).
٤٠. الراغب الاصفهاني، "مفردات القرآن". تحقيق: صفوان عدنان، (ط٣، دمشق، دار القلم، ١٤٢٣هـ).
٤١. الزبيدي، مُحَمَّد المرتضى الحسيني، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: د.نواف الجراح، (ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠١١م).
٤٢. الزجاج، إبراهيم بن السري، "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٤هـ).
٤٣. الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". تحقيق: الداني آل زهوي، (ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٩ هـ)
٤٤. سعد بن مُحَمَّد آل عبداللطيف، "التعريفات الاعتقادية". (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤٢٢هـ).
٤٥. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". اعتنى به: سعد بن فواز الصميل،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

(ط٢، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
٤٦. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، "حسن الخلق". ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي، (ط١، الرياض: دار الميمان، ١٤٣٢).
٤٧. السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد بن أحمد، "بحر العلوم". تحقيق: علي مُحَمَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).
٤٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن مُحَمَّد، "بغية الوعاة". تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢، بيروت: دار النشر : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ).
٤٩. الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار الجكني، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، (ط١، مكة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).
٥٠. الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد، "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير". تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، (ط٣، المنصورة، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ).
٥١. العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل بن سعيد، "الفروق في اللغة". تحقيق: جمال عبدالغني مدعش، (ط٢، بيروت، دار الرسالة، ١٤٢٧هـ).
٥٢. الفراء، يحيى بن زياد، "معاني القرآن". (ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ).
٥٣. الفيومي، أحمد بن مُحَمَّد، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير". (ط١، بيروت: المكتبة العلمية).
٥٤. القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد القاسمي، "محاسن التأويل". تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
٥٥. القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: د.عبدالله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ).
٥٦. القفطي، علي بن يوسف، "إنباه الرواة عن أنباه النحاة". تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، بيروت: دار الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ).
٥٧. الماتريدي، أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، "تأويلات أهل السنة". تحقيق: د. مجدي باسلوم، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ).
٥٨. الماوردي، علي بن مُحَمَّد، "النكت والعيون". تحقيق: السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٨٠ – ٨٢٨ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٥٩. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، "المسند الصحيح المختصر". عناية: مُحَمَّد زهير الناصر، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٣٣هـ).
٦٠. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، "تفسير مقاتل بن سليمان". تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣ هـ).
٦١. مكي، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب، "الهداية إلى بلوغ النهاية". تحقيق: مجموعة أساتذة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (ط١، الشارقة، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ).
٦٢. الواحدي، علي بن أحمد، "التفسير البسيط". تحقيق: مجموعة من الباحثين، (ط١، الرياض: جامعة الإمام، ١٤٣٠هـ).